صور من
السنة النبوية
في
حياتنا اليومية

(القسم الأول)

تأليف
أ . د / جلال سعد محمد البشار
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
ووكيل كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

قال تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾

" صدق الله العظيم "

(من آية " ٧ " سورة الحشر)

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق فسوى وقدر وهدى ومن على خلقه ببعثة رسوله نبى الهـــدى سيدنا محمد " ﷺ " الشفيع المرتضى، الهادى المجتبى، أنزل الله عليه القرآن نوراً وهدى فابلغه كما أنزله رب العزة وما نطق عن الهوى ..

صـــلاة وسلاماً عليه أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وســـراجاً مـــنيراً، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور وهداهم إلى طريق العزيز الغفور ففاز من اتبع دعوته وعمل بسنته والتزم شريعته إلى يوم أن ينفخ فى الصور فتخـــرج الأجساد بإذن ربها من القبور يوم الحشر والنشور .(يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم)،(يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله)

وصـــل اللـــهم على صحابته الهداة الأخيار، وتابعيهم من الكرام الأبرار الذين التزموا شريعته وتخلقوا بأخلاقه وتمسكوا بسنته ففازوا بالجنة ونجوا من النار صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين .

وبعـــد .. فـــإن ســـنة النبى " ﷺ " تعتبر التطبيق العملى لأوامر القرآن وتوجيهاته فهى طريقة النبى "صلوات الله وسلامه عليه" فى تنفيذ أوامر الله " ﷻ " التى أنزلها على رسوله الكريم .

كمـــا أن فى السنة شروحاً وبيانات وإيضاحات لآيات القرآن المجملة التى تحـــتاج إلى بيان وتحديد لتطبيقها عملياً كأوامر العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج، وإيضاح كامل لما يجب أن تمارس به العبادات، وما يجب اعتقاده من عناصر الإيمـــان، وبـــيان شـــاف للأسس التى تقوم عليها العلاقات الاجتماعية، والدولية والضوابط التى تحكمها فى إطار التشريع العام .

ولذا فإن المسلم ينبغى أن يلم بسنة النبى " ﷺ " وهديه فى كل مجالات الحياة ليكون تعامله مع الآخرين على بينة وأساس من التشريع وركائز من الإيمان بالله فيكون منطلق التعامل على أساس العقيدة والشريعة والأخلاق ، وبعبارة أخرى يكون المنطلق تعبدياً أى مقروناً بمراقبة الله ومحاسبة النفس ، ولذا فإن العلاقة فى التعامل بهذا الشكل تكون ثابتة فى القلب راسخة فى الوجدان مرتبطة بالثواب الأخروي والفوز بالجنة والنجاة من النار .. وقدوتنا فى كل هذا هو رسول الله " ﷺ " من خلا ل هديه فى السنة قوليه كانت أو فعليه أو تقريرية، والقرآن الكريم يلزمنا بذلك فيقول سبحانه ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [1] ومن مجالات التعامل :

(١) علاقة الإنسان بربه فى العبادة والعقيدة وإقامة شعائر الدين .

(٢) علاقة الإنسان بأخيه الإنسان : على المستوى الفردى وعلى مستوى الأسرة، وأخيراً على مستوى المجتمع الكبير الذى يتمثل فى علاقة الأسرة بغيرها ومن ذلك توضيح علاقة دولة الإسلام بغيرها من الدول وذلك لتوسعة دائرة الانتماء المبنى على الدين وتأكيداً للوحدة الإسلامية .

(٣) كما أن هناك توجيهات من السنة يتميز بتطبيقها المجتمع الإسلامى فتعتبر خصائص له كالنهى عن الخلوة بالأجنبية، وحرمة الاختلاط والالتزام بالحجاب الشرعى، وحفظ البيئة والعمل على إصلاحها .

نعم قد تكون هناك قوانين فى أغلب بلاد الغرب توجب نظافتها وعدم تلويثها، ولكن خاصية علاقة الإنسان بالبيئة فى المجتمع المسلم ركيزته دينية مرتبطة بمراقبة الله والتقرب إليه ، فيكون الدافع إليها ليس الخوف من عقاب القانون، وإنما

---

(١) سورة الحشر ، آية رقم (٧) .

الدافع هو الحصول على الثواب والفوز بتطبيق السنة فالمنطلق إذن عقدى أخلاقى فيكون هذا الخلق أثبت فى القلب فيكون السلوك الصحيح فى العلاقة بالبيئة ناشئاً بلا تكلف أو تفكير لأنه نابـــع من القلب ويقصد القائم به إرضاء الله " ﷻ " .

ولأن هذا الموضوع متشعب مترامى الأطراف متعدد بتعدد كل مجالات الحياة الدينية والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية والفكرية، والعملية .. فقد اخترنا بعضاً من هذه المجالات كنماذج لتوجيهات السنة إلى ضبطها وإصلاحها وتمييزها عن غيرها ومن المختارات :

(١) بعض من خصائص المجتمع المسلم التى تميز بها عن غيره .

(٢) نماذج من علاقات المسلم بأخيه المسلم .

(٣) نماذج لحفظ عفة الرجل والمرأة .

(٤) نماذج لعلاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به وكيف يتعامل معها .

وقد اعتمدت فى هذه الموضوعات على شروح البخارى ومسلم وبعض الكتب المساعدة بقدر الاستطاعة .

وهذه المختارات مجرد أمثلة وشواهد لعناية الإسلام بالمجتمع وإصلاح كل جوانبه ومجالات الحياة المختلفة فيه وأن الإسلام ليس مكانه بين جدران المساجد فقط ومعزول عن الحياة المعاصرة وإنما هو منهج عمل وطريقة حياة مصدرها الوحى الإلهى ويحقق السعادة والرقى للبشرية

والله العلى القدير أسأل أن يوفقنى لهذا العمل ويتجاوز عن زلاتى ويغفر سيآتى وأن يجعله فى ميزان حسناتى وهو المستعان،وأنه نعم المولى ونعم النصير .

الفقير إلى عفو الكريم الغفار

أ.د/ جلال سعد محمد البشار

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

ووكيل كلية الدعوة بالقاهرة

تمهيد

فى بيان معنى الحديث والخبر والأثر والسنة

قـــبل الخـــوض فى ذكر الأحاديث واستنتاج الأحكام منها يجب أن نحدد دلالات بعـــض المصطلحات المتعلقة بموضوعنا، وهى معانى الحديث والأثر والخبر والسنة [١] .

أ ـ معنى الحديث :

الحديث فى اللغة هو الجديد وهو ضد القديم ، وقيل إن الحديث هو الخبر .

وكل كلام يبلغ الإنسان سماعاً أو وحياً فى اليقظة أو المنام يقال له حديث ، فهو كل ما يبلغ الإنسان من الكلام .

وفى اصطلاح المحدثين :

أ ـــ هـــو مـــا أضـــيف النبى " ﷺ " من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية، وكذلك ما أضيف إلى الصحابة والتابعين [٢] .

ب ـــ يـــرى أصحاب هذا الرأى أنه ما أضيف إلى النبى فقط من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية ، دون الصحابة .

ب ـ معنى الخبر :

الخـــبر هو النبأ وهو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته فعندما نقول مثلاً : فـــلان غـــاب أمس ـــ فهذا خبر يمكن أن يكون صادقاً أو كاذباً ـــ والأخبار فى القرآن والسنة لا تحتمل إلا الصدق لكن ليس لذاتها وإنما لذات قائلها .

((١) اعـــتمدنا فى بـــيان هذه المعانى على كتاب غيث المستغيث فى علم مصطلح الحديث للدكتور محمد محمد السماحى ، دار العهد الجديد للطباعة ، بدون تاريخ .

(٢) الـــصحابى من لقى النبى " ﷺ " مسلماً ومات على إسلامه، والتابعى من صحب صحابياً ولا يكفى مجرد اللقاء، بل لابد من الصحبة .

وفى اصطلاح المحدثين :

أ ـــ أن الخـــبر والحـــديث متـــرادفان يـــشملان كل ما أضيف إلى النبى " ﷺ " وصحابته .

ب ـــ قيل إنهما متغايران فالحديث ما أضيف للنبى والخبر ما أضيف إلى غيره .

ج ـــ وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر وليس كل خبر حديثاً

ج ـ الأثر :

الأثر فى اللغة بقية الشيء ، وقيل : نقل الحديث وروايته .

وفى الاصـــطلاح : هـــو كالحـــديث والخبر يطلق على المرفوع والموقوف والمقطوع [١] .

وذكـــر الـــسيوطى : (أن المحدثين يسمون المرفوع والموقوف بالأثر، وأن فقهاء خراسان يسمـــون الموقوف بالأثر والمرفـــوع بالخبر ويقال : أثرت الحديث بمعنى روايته ..) [٢] .

د ـ تعريف السنة :

فى اللغة هى السيرة والطريقة والطبيعة .

أما فى الاصطلاح فتطلق على معان مختلفة عند أهل كل فن .

١ ـــ عـــند الفقهاء : هى أحد الأحكام التكليفية الخمسة ، وهى ما يثاب علـــى فعله يعاقب على تركه ولا يعاقب ، أو هى ما فعله الرسول " ﷺ " وحافظ على فعله من غير أمر عزيمة به .

---

(١) المـــرفوع : هو ما أضيف إلى الرسول خاصة ، والموقوف : هو ما يروى عن الصحابة " ﷺ " من أقـــوالهم وأفعالهم ولا يتجاوزهم إلى رسول الله . والمقطوع : ما جاء عن التابعين فمن بعدهم من أقوالهم وأفعالهم .

(٢) انظـــر : تـــدريب الراوى للسيوطى ، تحقيق : عبد الوهاب عبد الطيف ، ص ٤٣ ، ط دار الكتب الحديثة ، ثانية ١٩٦٦م .

٢ ـــ وعـــند الأصوليين : تقابل البدعة أى أنها ما جاء به الرسول " ﷺ " وشرعه الثابت بالكتاب أو الحديث أو القواعد المستنبطة منهما .

٣ ـــ وعند علماء الحديث : يأتى بمعنى الحديث والخبر والأثر وذلك عند الجمهور كما يطلق على سنة الخلفاء الراشدين، كما تطلق على أعم من ذلك عند التقييد .

كمـــا عـــرفت الـــسنة ويـــراد بها علم الحديث الخاص بالرواية فقيل فى التعـــــريف (علـــم يشتمل على أقوال النبى " ﷺ " وأفعاله وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها) .

فموضـــوع دراســـتنا هو السنة بمعنى الحديث فى تعريف علماء الحديث ، وهـــذه الـــنقاط أهم ما ينبغى لطالب الحديث أن يلم به ويدرك دلالالتها ولينتفع بهدى المصطفى " ﷺ " ، على نحو ما سوف يأتى إن شاء الله فى الفصول التالية .



الفصل الأول

صور من العلاقات الاجتماعية

١ ــ علاقة المسلم بأخيه .

٢ ــ نصرته وعدم خذله .

٣ ــ اجتناب ما يولد الأحقاد بين الأخوة .

٤ ــ رده عن ظلمه غيره ومناصرته عند ظلم غيره

أ ـ علاقة المسلم بأخيه

الحب والتعاون :

الحديث الأول

إعانة المسلم ونصرته .

روى البخارى بسنده أن رسول الله " ﷺ " قال : (**المسلم أخو المسلم لا يظلمـــه ولا يخذلـــه ولا يحقره، التقوى ها هنا ويشير إلى صدره، بحسب امــرئ مـــن الـــشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**) [١] .

الحديث الثانى

روى مسلم بسنده عن أبى هريرة [٢] " رضي الله عنه " أن رســـول الله " ﷺ " قـــال : (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم**) [٣]

---

(١) رواه الـــبخارى عن عبد الله بن عمر ـــ باب من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة ، كتاب المظالم ، لا يظلم المسلم المسلم ، ج ٢ ص ٨٦٢ ، حديث ٢٣١٠.

ورواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، ج ٤ ص ١٩٨٦ ، حديث رقم ٢٥٦٤ .

(٢)أبو هريرة : أبو هريرة الدوسى الصحابى الجليل حافظ الصحابة اختلف فى اسمه واسم أبيه، قيل : عبد الرحمن بن صخر، وقيل : ابن تيم، وقيل : عبد الله بن عائذ، وقيل : ابن عامر على أقوال كثيرة، والأكثرون على الأول، ويقطع بأن عبد شمس وعبد نهم غير بعد أن أسلم واختلف فى أيها أرجح فذهب الأكثرون إلى الأول، وذهب جمع من النسابين إلى عمرو بن عامر، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين هجرية، وهو ابن ثمان وسبعين، روى له السنة .

(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة ، كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ، ج ٤ ص ٦٠ ، صحيح البخارى بحاشية السندى .

ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظن والتحسس والتنافس ، ج ٥ ص ٤٢٦ ، ط الشعب .

وفى رواية لمسلم عن أبي هريرة : (ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا) [١] .

المباحث اللغوية :

١ ــ إياكم والظن : احذروا التهمة بغير دليل وعلى غير يقين، ويقال ظن بفلان أى اتهمه، وايَّا وإياى وجميع فروعها ضمائر نصب منفصله وتكون فى التحذير ومنها (إياكم) وهى بمعنى احذروا .

٢ ــ لا تحسسوا (بالحاء المهملة) : يقال : تحسس الخبر أى طلبه، فهى طلب معرفة الخبر .

٣ ــ لا تجسسوا (بالجيم) : البحث عن الخبر وفحصه، ويقال : جسَّ الشيء بيده أى مسه . [٢] وقال عض العلماء : التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم، وبالجيم البحث عن العورات، وقيل : بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال فى الشر .. [٣] .

٤ ــ ولا تنافسوا : (التنافس نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد فى سبيل التشبه بالعظماء واللحوق بهم، ويقال : تنافس القوم فى كذا أى تسابقوا وتباروا دون أن يلحق بعضهم الضرر ببعض) [٤] ويقول سبحانه : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [٥] .

---

(١) الرواية عن أبي هريرة ، كتاب الأدب ، باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثير من الظن إن بعض الظن أثم ، ج ٤ ص ٦٠ ، ط الحلبى ، حاشية السندى .

(٢) المعجم الوسيط ، ج ١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٥ ص ٤٢٦ ، ط الشعب ، بدون تاريخ .

(٤) المعجم الوسيط ، ج ٢ .

(٥) آية رقم (٢٦) ، سورة المطففين .

٥ ــ ولا تحاسدوا : أى حسد بعضهم بعضا والحسد هو تمنى زوال نعمة الغير وتحولها إلى الحاسد .

٦ ــ تباغضوا : يقال بغض الشيء بغضاً أى صار ممقوتاً مكروهاً، وتباغض القوم أى أبغض بعضهم بعضا .. والبغض هو الكراهية الشديدة.

٧ ــ تدابروا : تدابر القوم تعادوا وتقاطعوا، والعداء يسبب القطيعة والتولى عن بعضهم البعض وهذا هو الإعراض حيث يعرض كل من المتقاطعين عن صاحبه ويحول وجهه عنه .

٨ ــ كونوا كما أمركم : أى صيروا فى علاقتكم ببعضكم على أساس من الحب والتواد والتراحم، كأمر ربكم لكم حيث أمرنا بالاتحاد والتماسك بقوله : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[1] وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2] .

٩ ــ الاخوة : هى الجهة الجامعة لك مع شخص آخر، والأخ من جمعك وإياه صلب أو بطن أو هما معاً، أو من الرضاع أى من يشاركك فى الرضاع .. وتطلق على الصديق، والمسلم أخو المسلم لأن الدين جمع بينهما وربطت بين قلبيهما رابطة الإيمان .

١٠ ــ لا يظلمه : الظلم هو مجاوزة الحد، وهو وضع الشيء فى غير موضعه، وظلمه إذا رماه بالظلم، ويقال : تظالم القوم أى ظلم بعضهم بعضا .

١١ ــ ولا يخذله : الخذلان هو الانقطاع يقال : خذلت الظبية أى تخلفت عن القطيع،وخذل الرجل تخلى عن نصرته وعونه، وخذله:أى حمله على الفشل[3]

---

(١) من آية رقم (١٠٣) ، سورة آل عمران .

(٢) من آية رقم (١٠) ، سورة الحجرات .

(٣) المعجم الوسيط ، ج ١ .

(والخـــذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به فى دفع ظالم لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعى) [١] .

١٢ ــ ولا يحقــره : حقَــر الشيء أى هان وذل فهو حقير ، ويحقره أن يـــستهين بـــه ويستصغره، يقول النووى : (ورواه بعضهم " لا يخفره" بضم الياء والخـــاء المعجمـــة والفـــاء أى لا يغـــدر بعهده ولا ينقض أمانة .. ويعلق بقوله : والصواب المعروف هو الأول) [٢] أى رواية الحاء المهملة والقاف .

١٣ ــ بحسب : اسم بمعنى كاف يقال مررت برجل حسبك من رجل أى اكتف به، وهى اسم فعل، يقال حسبك أى اكتف [٣] .

١٤ ــ المـــرء : (بتثلـــيث الميم) أى الرجل، وإذا جاء مجرداً من الألف واللام كان " امرؤ " بكسر همزة الوصل والأنثى مرأة ومرة .

١٥ ــ دمـــه : الـــدم سائل أحمر يسرى فى عروق الحيوان والجمع دماء، ويطلق على الجسم كله. فيقال : دمى فداء لوطنى ودينى والمراد النفس والذات .

١٦ ــ عرضه : البدن والنفس وما يمدح ويذم من الإنسان سواء كان فى نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره .

١٧ ــ لا تناجـــشوا : (يقـــال نجـــش الشيء الخبيئ نجشا أى استثاره واستخرجه ويقال نجش الصيد ونجش الحديث أذاعه .. ونجش فلان فى البيع زاد فى ثمـــن السلعة أو فى المهر ونحوهما ليعرف فيزاد فيه وهى المزايدة ورجح النووى أن التـــناجش يكون فى البيع وهو أن يزيد فى السلعة ولا رغبة له فى شرائها بل ليغر غيره فى شرائها) [٤] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٥ ص ٤٢٨ ، ط الشعب .
(٢) مسلم ، ج ٥ ص ٤٢٨ ، مرجع سابق .
(٣) المعجم الوسيط ، ج ١ .
(٤) مسلم ، ج ٥ ، مرجع سابق .

الشرح والبيان :

فى هذا الهدى النبوى الشريف أسس هامة لقيام المجتمع المسلم على ركيزة من الحب والتواد والاحترام المتبادل فى علاقة المسلم بأخيه ففى القبس الأول يحذرنا رسول الله " ﷺ " من أمور لو تركت تنمو وتنتشر لقطعت أواصر الاخوة الإيمانية ومن هذه الأمور الخطيرة على العلاقات الاجتماعية على المستوى الفردى والمستوى الجمعى .

التوجيه الأول :

أ ـ يحذرنا من الظن السئ بالمسلم لأنه تهمة من غير دليل ولا سند يوجهها الظان بأخيه الذى قد يكون بريئاً مما وجه إليه فيقع المسلم فى ظلم أخيه لأنه قد نسب إليه اتهاماً لا دليل عليه وهذا وضع للشىء فى غير موضعه، فعلى المسلم أن يحسن الظن بالمسلمين لأن هذا من حقهم عليه، وقد روى عن عمر بن الخطاب " ﷺ " أنه قال : (ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها فى الخير محملاً) [(١)] وبسبب الظن السئ وإطلاق العنان لوسوسة الشيطان والانقياد وراء ذلك كم من ظلم وقع ودماء أهرقت وبيوت أغلقت وأسر شتت بسوء ظن القاه شيطان لعين فى قلب سقيم وأذكى جذوه نار الغضب فى ذلك القلب فألحق الظلم الشديد بتهمة لا دليل عليها إلا مجرد الظن [(٢)] .

وعندما يقول الله تعالى : ﴿ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾ [(٣)] فإن القليل قد لا يكون إثماً إذا كان هناك سبب يدعو إليه أو ملابسات

---

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ص ٢١٢ فى تفسر " اجتنبوا كثيراً من الظن " .

(٢) انظر كتاب : المسلمون بين الماضى والحاضر ، للمؤلف ص ٧٧ ، ط دار الاتحاد التعاونى للطباعة .

(٣) سورة الحجرات ، آية (١٢) .

تستدعيه ومع ذلك لا يجوز اتخاذ موقف قبـــل التثبت من موضـــوع الظن والتأكد من وقوعه [١] .

وقد سدَّ الإسلام الأبواب التى قد توقع فى سوء الظن فنهى عن أن يتناجى اثـــنان دون الـــثالث فـــإن ذلك بالإضافة إلى إحزانه وإيلامه نفسياً فإنه يفتح باباً لشليطان ليلقى فى قلبه أنهما ربما يتآمران عليه أو يدبران له أمراً فيسئ الظن بهما، فـــيقول صـــلوات الله وسلامه عليه : (**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخـــر حتى تختلطوا بالناس فإن ذلك يحزنه**) [٢] ، (والنهى هنا نهى تحريم فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن ومذهب ابن عمر "ﷺ" ومالـ ك وجمـــاهير العلماء أن النهى عام فى كل الأزمان وفى الحضر والسفر وقال بعـ ض العلمـــاء : المنهى عنه المناجاة فى السفر دون الحضر لأن السفـــر مظنـــة الـ رف) [٣] وبهذه الإرشادات وتلك التوجيهات النبوية تغلق كل منافذ الشيطان إلى قلب الإنسان وإيقاعه فى سوء الظن والظلم .

معـــنى كونه أكذب الحديث : أشد أنواع الكذب فيما حدثت به النفس لأنـــه غير مبنى على أدلة ولا براهين تؤكده أو ترجحه بل هو من القاء الشيطان، قـــال الخطابى : ـــ المنهى عنه ـــ (تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس فى النفس فإن ذلك لا يملك) ويعقب النووى موضحا رأى الخطابى بقوله : (ومراد الخطابى أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر فى قلبه دون ما يعرض فى القلب ولا يستقر) [٤] فالمستقر فى القلب هو أكذب الحديث كما بين لنا نبينا الكريم .

---

(١) المسلمون بين الماضى والحاضر ، مرجع سابق .

(٢) رواه مسلم بسنده عن عبد الله ، كتاب السلام ، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه ، ج ٥ ص ٢٩٠ ، ط الشعب .

(٣) النووى على صحيح مسلم ، ج ٥ ص ٢٩ ، الشعب .

(٤) النووى على مسلم ، ص ٤٣٦ ، مرجع سابق .

وكما حرم الإسلام الظن الشيء بالمسلم لما فيه من الفتن الاجتماعية والتباعد والتنافر، نهى عن التحسس (بالحاء) والتجسس (بالجيم) فإنه أى التحسس تسمع الأخبار وإطراق الأذن إلى حديث القوم لمعرفة ما يقولون، والتجسس هو اللهث وراء الخبر وفحصه وهو بحث عن أسرار الناس وعوراتهم وتتبعها، وفى القرآن الكريم حكاية عن نبى الله يعقوب " عليه السلام " يأمر أبناءه بالتحسس (بالحاء) فيقول سبحانه : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (١) فهو يطلب منهم التحسس لمعرفة أخبار يوسف وأخيه ويعلق ابن كثير على طلب التحسس بقوله : (التحسس يكون فى الخير والتجسس يكون فى الشر) (٢) ولذلك نهى الله عن التجسس بقوله : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ (٣) وفرق بينهما بعض العلماء فذكر أن التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم بمعرفة أمر من الأمور أو معلومة من المعلومات الخفية التى قد ترد فى حديثهم أما التجسس البحث عن العورات (٤) والتفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال فى الشر وهما بمعنى هو طلب معرفة الأخبار الغائبة والأحوال (٥) وهذا النهى عن التحسس والتجسس فيه ارتقاء بمشاعر المسلم وإعلاء لسلوكه فى علاقته بإخوانه فهو لا يحاول معرفة ما لا يريدون له أن يعرفه بخلاف ما إذا بذل الجهد ليعرف

---

(١) سورة يوسف ، آية (٨٧) .
(٢) تفسير ابن كثير ، ص ٤٨٨ ، ط الحلبى ، بدون تاريخ .
(٣) سورة الحجرات ، من آية (١٢) .
(٤) العورة فى اللغة : الخلل والعيب فى الشيء ، المعجم الوسيط ، ج ٢ ص ٦٣٦ .
(٥) انظر : شرح النووى ، ص ٤٢٦ بتصرف يسير .

بواطن أمور إخوانه وما يحرصون على اخفائه وستره فإن ذلك يؤلمهم ويفرق بينهم ويفكك أواصر المحبة التى غرسها الإسلام فى قلوبهم .

ثم تتدرج المنهيات فى الحديث إلى النهى عن المنافسة ثم يتبعها بالحسد فيحذرنا " صلوات الله وسلامه عليه " : (**ولا تنافسوا ولا تحاسدوا**) وقد يكون هناك ارتباط بين المنافسة والحسد، إذ أن المنافسة فى اللغة هى نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد فى سبيل التشبه بالعظماء واللحوق بهم ويقال تنافس القوم فى كذا أى تسابقوا او تباروا دون أن يلحق بعضهم ببعض) [1] ويقــول سبحانــه : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[2] أى فى فى السعى بالعمل الصالح والطاعة لله " ﷻ " ليكرمهم الله بالسقيا من الرحيق المختوم حيث قال تعالى عن أهل الجنة : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [3] ويقول ابن كثير شارحاً للمعنى : أى فى مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [4] " [5] .

فهذه هى المنافسة والتسابق إلى الخير وفيه ، أما المنافسة المنهى عنها فهى ما عــرفها الــنووى بقــوله : (المنافسة والتنافس فمعناها : الرغبة فى الشىء، وفى الانفــراد بــه ونافــسته منافسة إذا رغبت فيما رغب فيه، وقيل : معنى الحديث

---

(١) انظر : معجم الوسيط ، ج ٢ .

(٢) سورة المطففين ، آية (٢٦) .

(٤) سورة المطففين ، آيتا (٢٥، ٢٦) .

(٤) سورة الصافات ، آية (٦١) .

(٥) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ص ٤٨٦ ، ط الحلبى .

التبارى فى الرغبة فى الدنيا وأسبابها وحظوظها) [1] وعلى ذلك فإن المنافسة المأمور بهـــا فهى التى تكون فى رضا الله " ﷻ " للفوز بسعادتى الدنيا والآخرة والمنافسة المنهـــى عـــنها : فهى التى تكون من أجل الدنيا والنيل من حظوظها وهذا إذا لم يـــتحقق للمنافس شعر بالغيرة من منافسه وبالحقد عليه لأن المنافسة بينهما ليست لله، ولذلك اتبع الرسول " ﷺ " هذا النهى بنهى ملازم له وهو : (ولا تحاسدوا) والحـــسد أمر بغيض يجعل الحاسد ناقماً على ما يمنحه الله عباده من نعم كارهاً له حاقـــداً عليه فهو تمنى زوال نعمة الخير وتحولها إلى الحاسد ، فهو يعمل ويبذل كل جهـــد لـــيحول النعمة التى منحها الله المسلم إليه ولا يهدأ له قلب ولا يسكن له وجدان إلا إذا أزيلت النعمة وذهبت إليه .

ووجـــه العلاقة بين (ولا تنافسوا ولا تحاسدوا) أن المنافسة إذا كانت فى حظوظ الدنيا ، وتقدم المنافس على منافسة حسده على ما وصل إليه وتحقق فى مجال المنافسة كالتجارة، والمال، والفوز باحترام الناس وقبولهم فالحسد مترتب على فـــوز المنافس وتحقيق ما يريد ويتدرج من الحسد إلى الحقد مروراً بالغضب وانتهاء بالكـــراهية الشديدة والبغض، ولذا كان النهى التالى (ولا تباغضوا) فالبغض هو الكـــراهية الشديدة فيقال بغض الشيء أى صار ممقوتاً مكروهاً وتباغض القوم أى أبغض بعضهم بعضا ويترتب على الحسد والبغض العداوة والقطيعة التى نهى النبى " صـــلوات الله وســـلامه علـــيه " عـــنها بقوله : (ولا تدابروا) فتحدث القطيعة الاجتماعـــية وضـــعف العقيدة الدينية فى القلب فتتفرق وتتناحر ويعادى بعضهم البعض .

---

(١) شرح النووى على مسلم ، ج ٥ ص ٤٢٧ .

وقفة تأمل :

لـــو أمعنا النظر فى هذا الحديث لوجدنا ان الرسول " ﷺ " تدرج بأسباب الضعف بترتيب نفى دقيق ويختم هديه الشريف بأمر لا يتحقق إلا باجتناب ما نُهى عنه فبدأ بالتحذير من الظن بالمسلم، وإذا تملك الظن من شخص وهو غير متمكن من موضوع الظن بذل جهده ليعرف ما خفى عنه ليحقق ظنه السئ فيطرق أذنيه إلى ما يقوله القائلون عن فلان المظنون به، فإذا لم يكفه بذل جهداً أكبر ليعرف ما خفـــى عليه فيتتبع الأخبار ويحاول تطبيقها على ما يظنه وقد يتتبع العورات وهذا هو التجسس الممقوت المنهى والترتيب هنا انه ظن فتحسس ثم تجسس ولو لم يظن ما فعل شيئاً من ذلك .

ثم ينهى عن المنافسة التى تؤدى إلى الحسد إذا كانت لأجل الدنيا ثم ينهى عمـــا يتـــرتب علـــى المنافـــسة والحسد وهو البغض والكراهية والمقت والقطيعة والتفكك الاجتماعى والعداوة .

فـــإذا لم يكن هناك ظن ما كان التحسس والتجسس، وإذا لم تكن منافسة من أجل الدنيا ما كان هناك حسد ولا كراهية ولا قطيعة وإذا زالت هذه الأمراض من قلب الإنسان وصلحت نفسه تتحقق النتيجة والهدف من التشريع وهو الأخوة فى الإســـلام الـــتى أمرنا بها ربنا ودعانا إليها ديننا .. فلو فرضنا أنه : لا ظن، لا تحـــسس، لا منافـــسة، لا حسد، لا كراهية، لا قطيعة ، تكون النتيجة أخوة نقية وقوية بين كل المسلمين (إنما المؤمنون إخوة) ، (وكونوا عباد الله إخوانا) ، أى عاملـــوه بالعـــبودية وفيما بينكم بالأخوة ، أى تعاونوا وتحابوا فيما بينكم كتعاون الأخـــوة وتحابهم) [1] وإذا كانت الأخوة قائمة على عبودية الإنسان لربه دامت وقويت، وجمعت أواصر الحب بين كل أفراد المجتمع .

---

(١) انظر : حاشية السندى على البخارى : ج ٤ ص ٦٠ ، ط الحلبى .

ب - التوجيه الثاني : بعد أن حذرنا النبى " ﷺ " من الأمور التى تزرع الضغائن فى القلوب وتنشئ العداوات وتباعد فى العلاقات بين لنا أموراً تنشئ الحب والود والقرب فتثمر الوحدة الروحية والجسدية التى تتمثل فى إحساس كل مسلم بآلام الآخرين ومشاركتهم فى إزالتها وإعانتهم على إعادة السكينة إلى قلوبهم من ذلك :

حسن اللقاء :

إن المسلم إذا بَش وجهه وتهلل عند لقاء أخيه فإن ذلك يدخل السرور على نفسه وقلبه فيشعر بالميل إلى من أبدى له السرور بلقائه .

وروى مسلم بسنده عن أبى ذر [١] " ﷺ "،قال: قال لى رسول الله " ﷺ " : **(لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)** [٢] .

الحديث الثالث

روى البخارى بسنده عن أبى الوليد، قال حدثنا شعبة عن عدى بن حاتم قال : **ذكر النبى النار فتعوَّذ منها وأشاح بوجهه ثم ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه، قال شعبة أما مرتين فلا أشك، ثم قال : (اتقو النار ولو بشق تمرة فإن لم تجد فبكلمة طيبة)** [٣] .

---

(١)أبو ذر الغفارى : الصحابى الجليل المشهور، اسمه جندب بن جنادة على الأصح، وقيل : بريد مصغراً ومكبراً، واختلف فى اسم أبيه فقيل : جندب أو عشرقه أو عبد الله أو السكن تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدراً، ومناقبه كثيرة جداً، مات سنة ٣٢هـ فى خلافة عثمان ﷺ ، روى له الستة .

(٢) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، ج ٥ ص ٤٨٣ ، ط الشعب .

(٣) متفق عليه ورواه البخارى واللفظ له، كتاب الأدب، باب طيب الكلام ، ج ٤ ص ٢٣٥، فتح البارى، ج ٢٢ ، ط الكليات الأزهرية ١٩٧٨م .

وهذا التوجيه النبوى قد اشتمل على عدة أمور تقيم بين المسلمين جسور الود والمحبة .

الأمـــر الأول : **الأمـــر بطلاقة الوجه عند لقاء المسلم لأن ذلك ينقل إليه الإحـــساس بالحب والعاطفة والقرب، فإن معنى طلاقة الوجه أى سهل منبسط لا متجهم مقطب الجبين .**

ويعتـــبر ذلك من أبسط أنواع عمل الخير وإتيان المعروف فهو لا يكلف صاحبه شيئاً من جهد أو مال بينما نجد له أثراً ساحراً للقلوب آسراً لها فى التقريب بين المسلمين .

الأمر الثانى : هو أثر الكلمة الطيبة التى تريح سامعها وتسعده (واصل الطيب ما تستلذه الحواس ويسعد به ويختلف باختلاف متعلقة وينقل ابن حجر عن ابن بطال قوله : طيب الكلام من جليل عمل البر لقوله تعالى : (ادفع بالتى هى أحسن) والدفع قد يكون بالقول كما يكون بالفعل .. ويقول أيضاً : وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذى يعطاه ويذهب ما فى قلبه وكذلك الكلام الطيب فاشتبها من هذه الحيثية)[1] والكلام الطيب فيه رقة ورفق بالمتحدث إليه وكان " ﷺ " باش الوجه رفيقاً بمن يتعامل له ليناً فى معاملته وقوله وقد وصفه رب العزة بقوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2] .

---

(١) انظر : فتح البارى ، ابن حجر ، ج ٢٢ ص ٢٣٥ ، مرجع سابق .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٥٩) .

وبهذه الطريقة من هدى المصطفى يحدث التقارب والترابط ويقوى الـ
والشعور بالأخوة الإيمانية وتُدعَّم أواصر بناء المجتمع المسلم على أساس الـ
الروحية والصفاء النفسى لأبنائه الذين هم لبنات قيام ذلك المجتمع المتميز .

هل يجوز أن يلقى المسلم أخاه بوجه عابس ؟ :

هذا سؤال قد يرد على كثير من الأذهان وتطلب الجواب عنه ، وإذا
السؤال عن لقاء المسلم أخاه، فإن المفهوم المتبادر للأخوة هو أخوة الدين والعـ
وطاعة الله " ﷻ "، والحب الناشئ عن هذه العلاقة حب لله سبحانه كما ..
الإمام مسلم فى حديث : (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**) وذكر مـ
" أن يحب المرء لا يحبه إلا لله " فتلك محبة الدين ورابطة العقيدة ، فإن تلك ا
دائمة قائمة رابطة بين قلوب الموحدين الذين اطمأنت قلوبهم بنور الإ
والتوحيد، لأن هجر المسلم وعدم إظهار الوجه الطليق الباش به بلقائه وقا
وإشعاره بعدم الرضا عند اللقاء قد يكون زجراً وتأديباً له على ذنب فعـ
معصية أرتكبها.. وهذا جائز شرعاً فإن القرآن يقص على المسلم خبر الثلاثة
تخلفوا عن رسول الله " ﷺ " فى غزوة تبوك وهم : كعب بن مالك، وهلال
أمية، ومرارة بن الربيع، وكلهم من الأنصار فقال تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ
ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْـ
كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ...
وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَ...
وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَ...

لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (١) لقد ضاقت أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت لما أحسوه من مقاطعة الرسول " ﷺ " والمسلمين لهم بسبب تخلفهم عن الخروج مع رسول الله، يقول كعب بن مالك : (نهى رسول الله المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكبان وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله " ﷺ " فأسلم عليه وفى فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى : هل حرك شفتيه يرد السلام علىَّ أم لا ؟) (٢) .

يقول ابن كثير : (ذكر الله تعالى ما فرَّج به عن هؤلاء الثلاثة ـــ عندما تاب عليهم ـــ فرج عليهم من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت أى من سعتها) (٣) وقعوا فى حالة من الضيق النفسى بسبب هجر المسلمين لهم مقاطعتهم إياهم، وعدم إشعارهم بالسرور عند لقائهم .

وقد نهى رسول الله " ﷺ " عن مخاطبة الفاسق والمبتدع، فقال " صلوات الله وسلامه عليه : (لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يكن سيداً فقد اسخطتم ربكم " ﷻ ") (٤) وبصفة عامة فإن إظهار السرور والبشاشة للعاصى قد يشجعه على معصيته لإحساسه برضا من حوله بما يقترفه، فعبوس الوجه والإشعار بعدم الرضا،

---

(١) سورة التوبة ، آية (١١٧، ١٨٨) .

(٢) الحديث بتمامه رواه البخارى،عن كعب بن مالك، البخارى بحاشية السندى،ج ٣ ص ٨٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ن ج ٢ ص ٣٩٩، مرجع سابق .

(٤) رواه أبو داود عن بريدة .

والهجر من وسائل التأديب والتربية، ومع ان هذه الأمور وسائل سلبية إلا أن لها أثراً فعالاً وبخاصة إذا كان العابس والهاجر شخصاً ذا مكانة وحيثية، وإذا كان هذا النوع من العقاب من جماعة كبيرة أو من المجتمع كان أوقع فى النفس وأروع للمخالف، والعاصى مخالف لما عليه المسلمون، ولذا فإنه يجوز إشعار العاصى بخطئه حتى يعود فإن عاد إلى الحق هششنا له وأظهرنا السرور والرضا .

نصرة الأخ ظالماً ومظلوماً :

وهذا من الواجبات المترتبة على رابطة الأخوة فى الله وهى أخوة الإيمان بالله تعالى .

الحديث الرابع

روى مسلم بسنده عن جابر [١]، قال:"**اقتتل غلامان،غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون : يا للمهاجرين، ونادى الأنصارى : يا للأنصار؛ فخرج رسول الله " ﷺ "** فقال : (**ما هذا ؟ دعوى أهل الجاهلية ؟ قالوا : لا .. يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الاخر، قال : فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره**) [٢] .

وروى البخارى بسنده عـــن أنس [٣] "ﷺ" يقول:قال رسول الله " ﷺ " : (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا يا رسول الله هذا ننصـــــره مظلوماً** ،

---

(١)جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام بمهملة وراء، الأنصارى ثم السَّلَمى بفتحتين، صحابى ابن صحابى غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينة بعد السبعين هجرية وهو ابن أربع وتسعين، وروى له الستة .

(٢) رواه مـــسلم عن جابر،كتاب البر والصلة والآداب،باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ،ج٥ ص ٤٤٤، ط الشعب

(٣)أنـــس بـــن مالـــك : بن النضر الأنصارى الخزرجى خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين صحابى مشهور مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائى، وروى له الستة .

فكيــف ننصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق يديه) [١] .

وفى رواية للترمذى عن أنس [٢] **عن النبى " ﷺ " قــال : (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قلنا : يا رسول الله نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : تكفه عن الظلم فذاك نصرك إياه)** [٣] .

المباحث اللغوية :

١ ـــ اللامان فى قول المهاجر والأنصارى : يا للمهاجرين ويا للأنصار : مفتوحتان، وهما للاستغاثة ومعناهما أدعوا المهاجرين، وأدعوا الأنصار (أى لإغاثتى وإنقاذى) [٤] .

٢ ـــ كسع : بسين مخففة مهملة أى ضرب دبره وعجيزته بيد أو رجل أو سيف [٥] ، ويقال : كسع فلان فلاناً أى ضرب دبره بيده أو بصدر قومه [٦] .

٣ ـــ البأس : يطلق ويراد به الشدة فى الحرب، والعذاب الشديد، والخوف والمانع، ومعنى لا بأس أى لا مانع، ولا بأس فيه أى لا حرج ـــ والمعنيان الأخيران هما المرادان هنا [٧] .

٤ ـــ ظالماً أو مظلوماً : اسم فاعل، واسم مفعول وهما حالان من الأخ أنصر أخاك حاله كونه ظالماً، وحاله كونه مظلوماً، فهما حال متعددة لمفرد .

---

(١) رواه البخارى ، كتاب المظالم ، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، حاشية السندى على البخارى، ج ٢ ص ٦٦ ، ط فيصل الحلبى ، بدون سنة طبع .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) رواه الترمذى، كتاب الفتن ، باب ٦٨، وقال : هذا حديث حسن صحيح، ج ٤ ص ٥٢٣، ط مصطفى الحلبى ، ثانية ١٩٧٥م .

(٤) انظر : شرح النووى على مسلم ، ج ٥ ص ٤٤٥ ، ط الشعب

(٥) السابق ، ج ٥ .

(٦) المعجم الوسيط ، ج ٢ ص ٧٨٦ .

(٧) السابق ، ج ١ ص ٣٦ .

٥ ــ الكَف (يكف) : الكف عن الأمر : أى انصرف وامتنع عنه والمقصود بقوله : تكفه ــ أى تمنعه، والمراد نهيه عن الظلم كما فى الرواية الأخرى

٦ ــ الهاء فى " كفه " : ضمير مبنى على الكسر فى محل جر يعود على الأخ ، والمعنى : كف الأخ عن ظلمه .

٧ ــ والهاء فى " فإنه " : ضمير مبنى على الضم فى محل نصب يعود على النهى ، والمعنى فإن نهيك أخاك عن الظلم نصر له .

٨ ــ هذا ننصره : المشار إليه باسم الإشارة هو الأخ، وإليه يعود الضمير فى ننصره .

٩ ــ تأخذ فوق يديه : يقال أخذ الشىء أى حازه وملكه، وأخذه أى تناوله، وأخذ فلاناً أى حبسه ومنعه [1] وهذا المعنى هو المراد هنا تأخذ على يديه أى تمنعه .

الشرح والبيان :

أ ــ فى هذا الهدى النبوى يبين لنا رسول الله " ﷺ " حق الأخ المسلم على أخيه فى نصرته على من اعتدى عليه وظلمه إلا أن هناك ملمحاً إسلامياً رائعاً وهو أن النصرة لا تعنى المعاونة على الإيقاع بالمعتدى فقط، وإنما تعنى كذلك تحديد موقف الأخ المنصور وهل هو مظلوم من المعتدى، أوظالم له، ونصرته واجبة فى الحالين إن كان مظلوماً تجب نصرته برد ظلم المعتدى عليه ومعاونته على دفع هذا الظلم، أما عن كان ظالماً فنصرته تعنى منعه عن الظلم والعدوان على خصمه وهذا نصر له وإعانة على عدم التلبس بالظلم، وهذا الذى بينه المصطفى " ﷺ " يخالف مبدأ النصرة فى الجاهلية حيث إن النصرة فيما قرروه وتداولوه (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) يعنى مشاركة القبيلة من ينتمى إليها فى اعتدائه على غيره سواء أكان

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ، ج ١ ص ٨ .

ظالماً لغيره أو مظلوماً منه فهم يشاركونه بالمناصرة له فى ظلمه واعتدائه من منطلق العصبية القبلية .

وقول النبى " ﷺ " : **(ما هذا .. دعوى أهل الجاهلية)** فلأنه كره ذلك فإن مما كانت عليه الجاهلية هو التعاضد والتناصر بالقبائل فى أمور الدنيا ومتعلقاتها، فكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبيات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك، وقول النبى " ﷺ " : (لا بأس) أى لم يحصل من هذه القصة بأس مما كنت خفته، فإنه خاف أن يكون قد حدث أمر عظيم يوجب فتنة أو فساداً .. وفى رواية مسلم عن جابر بن عبد الله : .. قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال : **(دعوها فإنها منتنة ..)** [1] أى قبيحة كريهة مؤذية . لما تجره من الفرقة والاختلاف وإشاعة الفساد والعصبية بين القبائل وأفرادها، ودائماً تؤدى الفرقة والاختلاف إلى الضعف لذلك أنكرها النبى " ﷺ " وحذر المسلمين منها ووسع دائرة الانتماء لا إلى القبيلة وحدها وإنما إلى الإسلام فاتسعت الدائرة والتحمت القلوب وتآلفت، ويمتن الله تعالى على عباده:﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [2] .

(فنصرة المسلم فى رفع الظلم من الواجبات التى قررها الإسلام فهو لا يخذله عند طلبه المناصرة فإذا وقع ظلم من مسلم فقد أوجب الإسلام رد الظالم عن

---

(١) الحديث بتمامه رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، ج ٥ ص ٤٤٥ ، ط الشعب .

(٢) سورة آل عمران ، من آية (١٠٣) .

ظلمه واعتبر ذلك نصرة له وإعانة على الشيطان، فرده عن الظلم عون له على التغلب على الشيطان الذى جره إلى الظلم والنصرة فى الحديث قسمان : نصرة له فى رفع ظلم المعتدى عن نفسه وماله، ونصرة له على النفس والشيطان حتى لا يعتدى أحد على أحد، ويتسع معنى الإعانة ليشمل كل مجالات الحياة لتحقيق الخير والسعادة والنفس لنصرهما ضد الشيطان والتغلب على غوايته وضلالاته) (١) .

فيتأكد لدى المسلم أن علاقته بأخيه تقوم على البر والتقوى والتعاون والمناصرة فيشيع فى المجتمع الأمان والسعادة والاستقرار، مما يجعل المجتمع الإسلامى متميزاً له خصائص وسمات تجعله متفرداً مؤثراً فى غيره من المجتمعات متأثراً بهم فيما أباحته الشريعة له ولكنه لا يذوب فى غيره ولا ينصهر فى بوتقة أى مجتمع آخر لأصالة الثقافة الإسلامية التى جمعت بين التطور والثبات أو بين الأصالة والمعاصرة مما جعله خالداً إلى يوم القيامة صالحاً لكل الخلق .

ما يستفاد من هذه الأحاديث :

فى هذا الهدى النبوى الشريف إشراقات فى علاقة المسلم بأخيه ويمكن إجمالها فى ثلاث نقاط رئيسية هاك بيانها :

١ ـ أمور يجب اجتنابها ولا يجوز الإتيان بها أو مباشرتها :

أ ـ الظن السئ بالمسلم لأن الأصل فيه براءة الذمة، ولما فى ذلك من حدوث الظلم له، والاعتداء عليه فى سلوكه بنسبة اتهام ظالم إليه، وسائر علاقاته، والظن اتهام بلا دليل، فإذا قام دليل صحيح على نسبة موضوع الظن إليه، فيكون ذلك جائزاً، أما إذا انعدم الدليل فإن ذلك عين الظلم .

---

(١) انظر كتابنا : المسلمون بين الماضى والحاضر ، ص ٦٦ ، ط دار الاتحاد التعاونى للطباعة ، طبعة أولى ١٩٩٧م .

ب ــ التجسس والتحسس (بالجيم والحاء) : والعمل على معرفة أسرار الآخرين بالتنصت على كلامهم واتباع البصر أفعالهم لأن ذلك تتبع للعورات وهى الأمور التى يستحيا من معرفة الآخرين بها ولما فيها مــن فضح للمتجسس عليهم (بفتح السين وتشديدها) .

ج ــ المنافسة فى أمور الدنيا للحصول عليها والفوز بها .. وهذا يؤدى عند عدم الفوز إلى الحسد والحقد والكراهية .

أما إذا كان التنافس فى أمور الخير فهو مدعاة إلى الحب والرضا بما يمنحه الله للمتنافس مما سعى إليه .

د ــ الحسد : لما فيه من تمنى زوال نعمة الله عن الآخرين والغضب الشديد عندما يزيد فضل الله وإسباغ نعمه على المحسود، وهذا قد يجر اتخاذ موقف عملى عدوانى للنيل من المحسود والإضرار به أو بماله .

وهذا الفعال يؤتى ثماره المرة البغيضة من شيوع البغض والكراهية والمقت، والقطيعة والتدابر والتباعد والفرقة، مما يجعل المجتمع أشبه بمرجل يغلى بالعداوة والبغضاء .

هـ ــ الاعتداء على المسلم وممتلكاته، فيحرم الاعتداء على ما يملكه أخيه أو إتلافه بل عليه المحافظة على أملاك الآخرين ومن أهمها ذات المسلم فيحرم الاعتداء على جسمه، وعرضه يعنى نساءه وحريمه، ويطلق العرض على البدن والنفس، وكذا كل ما يملكه من مال، وما يقوم بالمال من عينيات وعقارات وتجارات، فكما يخشى الشخص ويخاف على ماله وما يملكه عليه أن يحافظ على مال أخيه وما يملكه وما يرعاه أثناء غيابه دون الاطلاع على عوراته .

٢ - أمور يجب فعلها والتزام المسلم بها :

أ ــ الالتزام بالأخوة الإيمانية والاعتزاز بها حيث إنها من دعائم الدين وقائمة على ركائز العقيدة الخالصة، والشريعة الغراء والأخلاق الكريمة وكلها تثبت وتدعم الأخوة التى بينها القرآن الكريم بقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١] وهى سبيل كل خير وقوة، وذلك فى الاعتصام بالدين والالتزام بأحكامه فهو حبل الله المتين الجامع بين القلوب المقوم للسلوك، قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [٢] وقال : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٣] فالاعتصام بالدين دعامة الأخوة .

ب ــ إنصاف المسلم : وذلك بعدم ظلمه بأية صورة من صور الظلم لأنه وضع الشىء فى غير موضعه، فلا يظلم أخاه بأى اتهام لما يقم عليه دليل أو قرينه .

ج ــ احترام المسلم أخاه وإعطاؤه مكانته اللائقة به، وتبجيله وإعلاء شأنه وعدم احتقاره أو استصغار شأنه وعدم السخرية منه أو من أقواله، وإذا كان لابد من توجيهه إلى ترك خطإ وفعل الصواب فليكن ذلك مع احترامه .

د ــ احتقار المسلم من أكبر الذنوب إذ أن ذلك معصية شيطانية فإذا احتقر المسلم أخاه واعتقد أنه خير منه أو افضل منه كان كالشيطان الذى امتنع عن السجود لآدم لاعتقاده أنه خير منه كما بين لنا القرآن فقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ

---

(١) سورة الحجرات ، من آية (١٠) . (٢) سورة آل عمران ، من آية (١٠٣) .

(٣) سورة آل عمران ، من آية (١٠١) .

يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (١) .

(فكأنه امتنع عن الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول يعنى لعنه الله : وأنا خير منه فكيف تأمرنى بالسجود له ؟) فكأنه رد الأمر بالسجود على الله ولم يمتثل له لاعتقاده عدم صحة الأمر من الله، وتعالى الله علواً كبيراً .

٣ ـ إعانة المسلم أخاه على النفس والشيطان :

أ ـــ نصرته ومؤازرته : وهذا يعنى عدم خذلانه ومعاونته على رد الظلم عنه أو استرداد حقه لأن ترك المسلم لذلك خذلان له وهذا يتنافى مع واجبات الأخوة .

ب ـــ إعانته على نفسه والشيطان وهذا يتمثل فى نصرته ظالماً أو مظلوماً والظالم يدفعه الشيطان إلى الظلم والاعتداء، عندئذ يجب على المسلم رده عن الانسياق وراء نفسه التى أثارها الشيطان وملأ القلب غيظاً والسلوك اندفاعاً،وهذا من واجبات الأخوة، فهذه الأمور إذا ما روعيت والتزمها كل مسلم فى علاقته بإخوانه ساد الأمان وشاع الحب وتوطدت العلاقات الاجتماعية وصار أفراد المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى، هذا وينبغى الإشارة إلى أن ما ذكر من خلال الأحاديث السابقة ليست كل الضوابط فى العلاقات الإنسانية، وإنما هى نماذج مختارة لبيان دور السنة فى دعم العلاقات فى المجتمع المسلم .



---

(١) سورة الأعراف ، آيتا (١١ ، ١٢) .

الفصل الثانى

من المجتمع المسلم

١ ـ حفظ شخصية المسلم .

٢ ـ حسن السمت وسنن الفطرة .

٣ ـ عـدم الاختلاط بين الرجال والنساء والحفاظ على عفة الرجل والمرأة .

٤ ـ وجوب الحجاب وتحريم التبرج والتزين .

مدخل

لا ريـــب فى أن الإسلام بنى مجتمعاً متميزاً عن كل المجتمعات المعاصرة من فرس وروم وغيرهما فهو مجتمع يقوم على ركائز واضحة وروابط قوية متماسكة لا تنفصم عراها ولا تهن قوتها أو تهن عظامها، مجتمع لـــه حضارة عناصرها مستمدة مـــن الوحـــى الإلهى : القرآن الكريم والسنة النبوية، ولذا فإن للمسلم شخصية واضـــحة المعـــالم بينة السلوك فى كل العلاقات البشرية والبيئية، وهاك برهان ما قدمناه :

أ - حفظ شخصية المسلم وتميزها :

الحديث الخامس

روى البخارى بسنده عن ابن عبـــاس [(١)] " ﷺ " قـــال : (**لعن رسول الله " ﷺ " المخنثـــين من الرجال والمترجلات من النساء وقال أخرجوهم من بيوتكم، قال : فأخرج النبى " ﷺ " فلاناً، وأخرج عمر فلاناً**) [(٢)] .

وقـــال فى روايـــة : (**لعـــن رســـول الله " ﷺ " المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**) [(٣)] .

---

١ ١)ابن عباس : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ ، ولـــد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم للقرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه، وقال عمر لو أدرك الناس ابن عباس أسناناً ما عشره منا أحد، مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة، روى له الستة .

(٢) رواه الـــبخارى، عن ابن عباس، كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء من البيوت، ج ٤ ص ٣٨، حاشية السندى على صحيح البخارى .

(٣) رواية البخارى عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال،اللباس،ج ٤ ص ٣٨ -حاشية السندى

وروى الإمام البخارى بسنده عن أم المؤمنين عائشة [١] " رضى الله عنها " قالت : (كان يدخل على أزواج النبى " ﷺ " مخنث فكانوا يعدونه من غير أولى الإربة، قال : فدخل النبى " ﷺ " يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة، قال : إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان ، فقال النبى " ﷺ " : ألا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكم، قالت : فحجبوه) [٢] .

وفى رواية : (أن زينب بنت أبى سلمة أخبرتها أن النبى " ﷺ " كان عندها وفى البيت مخنث فقال لعبد الله أخى أم سلمة : يا عبد الله إن فتح لكم غداً الطائف فإنى أدلك على بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال النبى " ﷺ " : لا يدخلَنَّ هؤلاء عليكن) [٣] . قال أبو عبد الله تقبل بأربع وتدبر يعنى أربع عكن بطنها فهى تقبل بهن، وقوله : وتدبر بثمان يعنى أطراف هذه العكن الأربع لأنها محيطة بالجنبين حتى لحقت .. " [٤] .

---

(١)عائشة : عائشة بنت أبى بكر الصديق أم المؤمنين أفقه النساء مطلقاً وأفضل أزواج النبى ﷺ إلا خديجة " رضى الله عنها" ففيها خلاف شهير، ماتت " رضى الله عنه " سنة ٥٧هـ على الصحيح وروى لها الستة .

(٢) رواه مسلم بسنده عن عائشة، كتاب السلام، باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب، ج ٥ ص ٢٤، ط الشعب .

(٣) رواه البخارى بسنده عن زينب ابنة أبى سلمة، كتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، ج ٤ ص ٣٨ حاشية السندى على البخارى

(٤) المراد بقوله : عكن بطنها : جمع عكنه وهو ما انثنى وانطوى من لحم البطن سمنا، ويقال عكنت الجارية صارت ذات عكن (المعجم الوسيط ج ٢) .

الحديث السادس

٢ ـ حسن السمت :

روى البخارى عن على قال حدثنا سفيان قال الزهرى حدثنا عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة [١] : (الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر وقص الشارب) [٢] .

وفى رواية عن نافع عن ابن عمر [٣] " ﷺ " أن رسول الله "ﷺ" قال:(من الفطرة حلق العانة وتقليم الأظفار، وقص الشارب) [٤] .

وفى رواية عن عبدة عن عبيد الله بن عمر "ﷺ" عن نافع عن ابن عمر [٥] " ﷺ " : قال رسول الله " ﷺ " : (انهكوا الشوارب واعفوا اللحى) وفى رواية ثالثة : (خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب، وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه) [٦] .

المباحث اللغوية :

١ ـ اللعن : هو الطرد والإبعاد عن الخير،ومعناه : دعا رسول الله " ﷺ " باللعن .

---

(١)سبق ترجمته .

(٢) رواه البخارى عن أبي هريرة، كتاب اللباس، باب قص الشارب، ج ٤ ص ٣٨، حاشية السندى .

(٣)عبد الله بن عمر : عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى، ولد بعد البعثة بيسير واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان أشد الناس اتباعاً للأثر، مات سنة ٧٣هـ وأول التى تليها، روى له الستة .

(٤) البخارى عن ابن عمر، كتاب اللباس ، باب تقليم الأظافر، ج ٤ ص ٣٨ ، السندى .

(٥)سبق ترجمته .

(٦) البخارى عن ابن عمر، اللباس، باب إعفاء اللحى، ج ٤ ص ٣٨ ، السندى، ط فيصل الحلبى، دار إحياء الكتب العربية .

٢ ـــ المخـــنث : خـــنث الرجل خنثاً أى فعل فعل المخنث، وخنث فلان اســـترخى وتثنى وتكسر أى فعل فعل النساء، والخنثى فى الحيوان فرد تتكون فيه أمـــشاج الذكر وأمشاج الأنثى، وقيل : المخنث هو الذى يشبه النساء فى كلامه وحركاته وأخلاقه [١] .

٣ ـــ المترجلات : يقال ترجل الشخص أى مشى على رجليه، وترجلت المـــرأة أى صارت كالرجل وتشبهت به، وارتجل برأيه أنفرد به ولم يشارو أحداً، وارتجل الكلام أى ابتدعه بلا روية [٢] .

٤ ـــ يعدونه : يظنونه ويحسبونه، ويقال : عد الرجل فلاناً صادقاً أى ظنه كذلك. وكانت أمهات المؤمنين يظنن أن هذا المخنث من غير أولى الإربة [٣] .

٥ ـــ أولى الإربة : أصحاب البغية وفى التتزيل : ﴿ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ ﴾ [٤] أى لا بغية لديهم فى النساء . (وهم الذين لا همة لهم إلى النساء ولا يشتهونهن، وقال ابن عباس هو الذى لا شهوة له) [٥] .

٦ ـــ ينعت : يصف ويقال نعته بالكرم أى وصفه به .

٧ ـــ ثمان : قال : بثمان ولم يقل بثمانية فهو الأصل، لأن المراد الأطراف وهى مذكرة، ولما لم يذكر لفظ المعدود المذكر فإنه يجوز تذكير العدد، كما فى قول الرسول " ﷺ " : (من صام رمضان واتبعه بست من شوال) ولو ذكر المعدود لقال بستة من شوال. وأما أنه لم يذكر فإنه يجوز حذف الهاء .

---

(١) انظر : النووى على مسلم، ج ٥ ص٢٥

(٢) المعجم الوسيط، ج ١ ص ٣٣٢ .

(٣) المعجم الوسيط ، ج ٢ .

(٤) سورة النور ، من آية (٣١) .

(٥) ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٨٥ ، ط الحلبى .

٨ ــ لا يدخلن هؤلاء : لا ــ ناهية لا يدخل مضارع مبنى على الفتح والنون للتوكيد ــ هؤلاء فاعل مبنى على الكسر والهاء للتنبيه اسم إشارة والمشار إليه المخنثون. أى لا يدخل المخنثون عليكم .

٩ ــ عليكم، وعليكن : المخاطب بالنهى النساء والأصل عليكن بنون النسوه، وفى الرواية الثانية عليكم بميم جمع المذكر، وتوجيه رواية المذكر بأنه جمع مع النساء المخاطبات بذلك من يلوذ بهن من صبى ووصيف [1] ــ والمعنى : لا يدخلن المخنثون عليكم أى النساء وغير أولى الإربة .

١٠ ــ الفطرة : هى الطبيعة السليمة لم تشب بعيب ، وهى الحلقة التى يكون عليها كل مخلوق أول خلقه [2] وقيل هى : الإسلام كما فى حديث الإسراء اخترت الفكرة .. وقيل : العقل .

١١ ــ الفطرة خمس : التنوين فى " خمس " عوض عن كلمة أى خمسة أمور ، أو خمسة أشياء .

١٢ ــ الفرق بين : الفطرة خمس، وخمس من الفطرة : لفظ " من " فى العبارة الثانية للتبغيض أى أن هذه الأمور بعض الفطرة وليست كلها ولا ينفى وجود غيرها .

قال ابن دقيق العيد : (دلالة " من " على التبغيض فيه أظهر من دلالة هذه الرواية على الحصر، وقد ثبت روايات فى أخرى زيادة على ذلك فدل على أن الحصر غير مراد وأن مفهوم العدد ليس بحجة) [3] وذكر ابن حجر أن ذكر العبارتين شك من الراوى " سفيان " .

---

(١) انظر : فتح البارى، لابن حجر، ج ٢٢ ص ٩٩، ط مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢ ص ٦٩٤ .

(٣) انظر : فتح البارى ، ج ٢٢ ص ١٠١ .

١٣ ـــ الختان : ختن الصبى ختناً وختاناً قطع قلفته فهو مختون والختان موضع القطع من الذكر والأنثى، وقال الماوردى : (ختان الذكر قطع الجلدة التى تغطى الحشفة والمستحب أن تستوعب من أصلها عن أول الحشفة) [١] .

١٤ ـــ إعفاء (اللحى) : إعفاء أى إبقاء يقال : أعفى فلاناً من الأمر أى أسقطه عنه، وعفا الشعر أى أبقاه ولم يزله ، ومعنى : اعفوا اللحى (اتركوها ولا تزيلوها) [٢] ومثل ذلك فى المعنى وفّروا اللحى : أى كثروها وزيدوها، ويقال وفّر الشىء كثّره . وروايتا : (اعفوا ، ووفروا) كل منهما توضح الأخرى فهما متعاضدتان والمراد إطلاق اللحى وعدم حلقها .

١٥ ـــ اللحى : جمع لحية وهى شعر الخدين والذقن، والخدان هما العارضان والذقن مجمع اللحيين من أسفلهما والشعر النابت أعلى الشفة السفلى هو " العنفقة " والشعر على الشفة العليا الشارب .

١٦ ـــ احفوا : يقال احتفى أى مش حافياً، احتفى فلاناً أو بفلان احتفل به، واحتفى الشىء أى استأصله وأزاله ويقال : احتفى النبت واحتفى الشعر أزالهما . واحتفاء الشارب أى إزالته واستئصاله .

(واحتفى الشىء استأصله ويقال أحفى النبات وأحفى شاربه) [٣] .

الشرح والبيان :

فى هدى المصطفى " ﷺ " السالف الذكر بيان لما يجب أن يتحلى به المسلم فى تكوينه النفسى وما ينبغى أن يكون عليه فى سلوكه العام فى مظهره الخارجى ـــ وهذا هو البيان :

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ، ج ١ ص ٢١٨ .

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢ ص ٦١٢ مع تصرف خفيف .

(٣) المعجم الوسيط، ج ١ ص ١٨٦ .

١ - إلتزام سلوك الرجال وأخلاقهم :

وتبين روايات الحديث أن رسول الله " ﷺ " دعا باللعن والطرد من رحمة الله على من تشبه بالنساء من رجال الأمة، وعلى من تشبهت بالرجال من نساء الأمة إذ أن لكل منهما شخصيته المتميزة عن شخصية الآخر، فالميوعة لدى الرجال والتثني والتكسر فى الكلام والمشى كالنساء يمقته الشرع ويرفضه، وكذا اللباس مرفوض وملعون فاعل ذلك، وكذا المرأة المترجلة التى تتشبه بالرجال ناسية أنوثتها، تتكلم بطريقة الرجال من الخشونة والشدة، وتلبس ما يلبسه الرجال ويتزيون به كاشفة عورتها متبذلة فى ثيابها وهى أيضاً ممن يستحقون اللعنة والطرد لتخليها عن وقارها واحترامها فى كلامها وسلوكها غير مراعية لدين ولا لشريعة .

قال الطبرى : المعنى لا يجوز للرجال التشبه بالنساء فى اللباس والزينة التى تختص بالنساء ولا العكس — أى لا يجوز للنساء التشبه بالرجال فى اللباس والزينة التى تختص بالرجال — .

ويقول ابن حجر معلقاً على ما قاله الطبرى : (قلت وكذا فى الكلام والمشى فأما هيئة اللباس فتختلف باختلاف عادة كل بلد، فرب قوم لا يفترق زى نسائهم من رجالهم فى الملبس لكن يمتاز النساء بالاحتجاب والاستتار . أما ذم التشبه بالكلام والمشى فمختص بمن تعمد ذلك) [١] فابن حجر أرجع اللباس إلى عرف البلد، مع مراعاة حكم الشرع فى النساء وهو أيا كان اللباس فيجب عليهن الاحتجاب .

---

(١) فتح البارى، ابن حجر، ج ٢٢ ص ٩٧ ، ط الكليات الأزهرية .

ولعل التشبه بالنساء يكون أصل خلقته و طبعه فلا لوم عليه حينئذ وعليه أن يبذل جهده ويتكلف ترك ذلك، أما من كان ذلك ليس من أصل خلقته ولكنه يتعمد ذلك بإرادته فهذا هو من يتوجه إليه اللعن المذكور فى الحديث الشريف) [١]

ويستحق اللعن من تشبه فى الزى وبعض الصفات والحركات ونحوها ، أما التشبه بالنساء فى أمور الخير فى حرج فيه، بل يجب التأسى بالصالحات من النساء فى فعل الخيرات والتخلى عن المعاصى والسيآت والأمثلة شاهدة بذلك من نساء الصحابة والتابعين .

٢ - إخراج المخنث من مجتمع النساء :

وهذا المعنى هو ما أكدته روايات الحديث التى تبين لعنة المتشبهين من الرجال بالنساء كما فى رواية البخارى عن ابن عباس " ﷺ " : (.. وقال أخرجوهم من بيوتكم، **قال : فأخرج النبى " ﷺ " فلاناً وأخرج عمر فلاناً**) والشاهد : أخرجوهم من بيوتكم فهذا أمر نبوى شريف بإخراج المخنثين من مجالس النساء، وكذا إخراج كل من يحصل به التأذى للناس. وقيل:أن النبى "ﷺ" أخرج " انجشة " وهو العبد الأسود الذى كان يحدو بالنساء) [٢] وقد روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك " ﷺ " قال : **(أتى النبى " ﷺ " على بعض نسائه ومعهن أم سليم ، فقال : ويحك يا انجشة : رويدك سوقاً بالقوارير ..)** [٣] وكان انجشة حاد حسن الصوت ــ يحدو بالإبل التى تركبها نساء النبى " ﷺ " فانطلقت الإبل مع الحداء فقال له النبى ويحك يا انجشه رويدك سوقاً بالقوارير ومعناها تمهل فى

---

(١) السابق مع تصرف خفيف، ص٩٧ .

(٢) فتح البارى، ج ٢٢ ص٩٧ ، مرجع سابق .

(٣) رواه البخارى عن أنس " ﷺ " ، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز، ج ٢٢ ص ٢٤١ ، فتح البارى على البخارى .

سوقك الإبل ويعنى النبى " ﷺ " ضعفه النساء ولذا وصفهن بالقوارير وهى جمع قارورة وهى الزجاجة سميت بذلك لاستقرار الشرب فيها، وقد شبه النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة والمعنى : سقهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الإبل) [١] .

ولنا أن نتساءل لماذا دخل المخنث على نساء النبى " ﷺ " ؟ :

بين الحديث سبب سماح أمهات المؤمنين بدخوله عليهن، وهن أنهن اعتقدن أنه من غير أولى الإربه ـــ فليس له غرض أو هدف من النساء وأنه مباح دخوله عليهن، إلا أن النبى " ﷺ " لما سمع منـــه وصف المرأة بأنها تقبـــل بأربع وتدبر بثمان ـــ وهذا الوصف يدل على أنه دقيق النظر إلى النساء وأجسامهن ومشيهن ـــ وهذا ما لا يلتفت إليه كثير من النساء، وهنا أيقن النبى " ﷺ " أنه من أولى الإربة منعه وقام بإخراجه، وفى هذا دلالة على ضرورة منع المخنث من الدخول على النساء ومنعهن من الظهور عليه) [٢] امتثالاً لقول النبى " ﷺ " (لا يدخل هؤلاء عليكم) ، (لا يدخلن عليكن) وإذا دخل يجب إخراجه .

يقول النووى : (كان نفى المخنث لثلاثة معان " أمور " هى : الأول : أنه كان يظن ـــ أى النبى ـــ أنه من غير أولى الإربة ـــ كما سبق بيانه ـــ وأنه ـــ أى المخنث ـــ كان منهم وكان يتكتم ذلك، الثانى : وصفه النساء ومحاسنهن بحضرة الرجال، وقد نهى أن تصف المرأةُ المرأةَ لزوجها فكيف إذا وصفها الرجل للرجال، الثالث : أنه ظهر له منه أنه كان يطلع من النساء وأجسامهن وعوراتهن على ما

---

(١) فتح البارى مع تصر كبير ، ص ٣٤١ .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم، ج ٥ ص ٢٥ ، الشعب .

يطلع عليه كثير من النساء فكيف الرجال، لا سيما على ما جاء فى غير مسلم أنه وصفها حتى وصف ما بين رجليها أى فرجها وحواليه) [١] .

وفى هذا الهدى النبوى بيان واضح لحرص الإسلام على سلامة شخصية المسلم ذكراً كان أو أنثى فلكل شخصيته التى تختلف عن شخصية الآخر وصيانة الإسلام ورعايته للشخصية حتى لا تتأثر بمظاهر الانحراف تأثراً سلبياً، كما أن فيه دلالة واضحة على ضرورة إزالة أسباب الفتن والانحرافات لضمان سلامة المجتمع المسلم .

وفى العصر الحديث نجد شباباً وشبات انحرفوا وابتلى الفتيان بالتخنث والميوعة، وابتليت الفتيات بالترجل والانحلال فلبس كل منهما لباس الآخر وتزيا بزيه وتشبه به فى المشى والكلام والسلوك فإذا نظر الإنسان نظرة عامة إلى مجتمع مختلط من الفتيان والفتيات لا يفرق بينهم بسهولة واللباس متشابه والحركات واحدة والعرى متقارب لبس الفتيان فى أعناقهم السلاسل الذهبية كما تلبس النساء . وكم من الشباب يعرف الكثير والكثير من الأمور التى أبعد النبى " ﷺ " المخنث بسببها وكلهم ذوو إربة ولكنهم لا يتكتمون ذلك بل يجاهرون به تحت دعوى الحرية الشخصية والإباحة الجنسية التى يطلقون عليها تجاوزاً ثقافة جنسية [٢] .. وما هى إلا ثقافة غربية، لا تمت إلى ثقافة المسلم بصلة .

---

(١) انظر : السابق نفس الجزء والصفحة مع تصرف خفيف .

(٢) ناقش العلماء التربويون مسألة تعليم النشء الثقافة الجنسية وقالوا بذلك مستدلين بآيات القرآن التى تتحدث عن خلق الإنسان ومراحله برحم المرأة، والزنا وتحريمه، وأجازوا ذلك بل واعتبروه مسئولية ملقاة على عواتق المربين المسلمين ــ خاصة وان الإسلام عندما تحدث عن مسائل الجنس لم يعرضها فى صورة مثيرات ومحركات للشهوات ومشعلة لسعار الجنس وإنما عرضها بأسلوب مهذب عفيف .. (انظر : القضية فى كتاب تربية الأولاد فى الإسلام ، عبد الله علوان، ج ١ ص ٦٠٠، ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع) .

٣ ـ النظافة الشخصية للمسلم (سنن الفطرة) :

المراد بالفطرة هنا الطبيعة السوية كما خلق الإنسان عليها فهى سليمة نقية ولم تشبها شائبة انحراف أو اعوجاج وسنن الفطرة أمور لو لم يأمر بها الشرع ويحض عليها لتطلعت إليها الطباع السليمة هل هى خمسة فقط .

مفهوم الفطرة فى الحديث :

يقول ابن حجر فى الفتح : " الفطرة هى الإيجاد على غير مثال، وقال أبو شامة " أصل الفطرة الخلقة المبتدأة ومنه فاطر السموات والأرض " وقول النبى " ﷺ " : (**كل مولود يولد على الفطرة**) أى على ما ابتدأ الله خلقه عليه وفى إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [(١)] والمراد بالفطرة فى الحديث : أن هذه الأشياء اتصف فاعلها بالفطرة التى فطر الله العباد عليها وحثهم عليها واستحبها لهم ليكونوا على أكمل الصفات، وأشرفها، ويقال نقلاً عن البيضاوى : إنه أرجعها إلى مجموع ما ورد فى معناها وهو الاختراع والجبلة والدين والسنة فقال هى السنة القديمة التى اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع وكأنها أمر جبلى فطروا عليها " [(٢)] .

وقد سوغ الابتداء بالفطرة فى قوله (خمس من الفطرة) أن لفظ " خمس " صفة موصوف محذوف والتقدير خصال خمس، أو مضاف أى : خمس خصال وتجوز أن تكون الجملة خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : الذى شرع لكم خمس من الفطرة وقد عبر فى بعض روايات الحديث : " بالسنة بدل الفطرة ويراد بها الطريقة لا التى تقابل الواجب " [(٣)] .

---

(١) سورة الروم ، آية (٣٠) .

(٢) ، (٣) ملخص من فتح البارى، ج ٢٢، ص ١٠٥ .

قد ذكر حديث أبي هريرة أنها خمسة أمور هى سنن الفطرة، أو هى من سنن الفطرة فهناك أمور أخرى أكثر من الخمسة المذكورة ، ويذكر ابن حجر عدة روايات لسنن الفطرة فيها زيادة ونقص عن الخمس : " أخرج الإسماعيلى فى رواية له بلفظ ثلاث من الفطرة، وله فى رواية أخرى له : من الفطرة وذكر الثلاث وزاد الختان، ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة، فذكر الخمسة التى فى حديث أبى هريرة إلا الختان وزاد إعفاء اللحية والسواك والمضمضة والاستنشاق وغسل البراجم والاستنجاء، وذكره أبو عوانة فى مستخرجه بلفظ عشرة من السنة وذكر الاستنثار بدل الاستنشاق، وروى من طريق أبى بشر عن طلق قال : " من السنة عشرة " فذكر العشرة وذكر الختان بدل غسل البراجم .

ويفسر الطبرى قول الله تعالى : (وإذ ابتلى إبراهيم بكلمات فأتمهن) بقوله : " ابتلاه الله بالطهارة خمس فى الرأس وخمس فى الجسد .. وذكر مثل حديث عائشة كما فى رواية أبى عوانة ولم يشك فى المضمضة وذكر الفرق بدل إعفاء اللحية، وأخرجه ابن أبى حاتم من وجه آخر عن ابن عباس فذكر غسل الجمعة بدل الاستنجاء فصار مجموع الخصال التى وردت فى هذه الأحاديث خمس عشرة خصلة " [1] فدار عدد هذه الخصال من ثلاث إلى خمس عشرة خصلة هى الخمسة التى فى الحديث المتفق عليه زادت عليها عشر خصال أو سنن كما عبر الحديث فهى " الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب — مضافاً إليها : " الوضوء والاستنشاق والاستنثار والاستنجاء والسواك وغسل الجمعة، وإعفاء اللحية والفرق [2] ، غسل البراجم [1] " " ويتعلق بهذه الخصال

---

(١) انظر : فتح البارى، ج ٢٢ ص ١٠٢ ، مع تصرف يسير .

(٢) الفرق من الرأس الفاصل بين صفين من الشعر، ومنه : المفرق من الرأس حيث يفرق الشعر (المعجم الوسيط، ج ٢ ص ٦٨٦) فهو تصفيف للشعر وترجيله .

مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع، منها : تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً ، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان وامتثال أمر الشارع والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (٢) لما فى المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك وكأنه قيل : قد حسنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها، وحافظوا على ما يستمر به حسنها .. وأخيراً .. قيل : فى المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب لأن الإنسان إذا بدأ فى الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس " (٣) فعلى ضوء ما ذكره ابن حجر من تعلق المصالح بهذه الخصال يمكن حصرها فيما يلى :

١ ــ حسن الهيئة ونظافة البدن ومرتكز ذلك أمر نبوى كريم يوجه المسلم إلى تحسين مظهره لتأكيد العلاقة الحسنة بين الأفراد المجتمع وبيان ذلك كما يلى :

أ ــ مخالفة ما عليه اليهود والنصارى والمجوس من عدم اهتمامهم بالنظافة الشخصية، وعدم حصرهم على ذلك .

ب ــ امتثال أمر الشارع والتزام التوجيه النبوى إلى النظافة وتحسين الهيئة .

ج ــ شكر نعمة الله على الإنسان من تحسين صورته وهيئته ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝ ﴾ (٤) ، ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ

---

(١) البراجم : جمع برجمة وهى عقد الأصابع التى فى ظهر الكف، وهى المواضع التى تتسخ ويجتمع فيها الوسخ ولا سيما ممن لا يكون طرى البدن (فتح البارى، ج ٢٢ ص١٠٣) .

(٢) سورة غافر ، من الآية (٦٤) .

(٣) انظر : فتح البارى، ج ٢٢ ، ص ١٠٤ مع تصرف يسير .

(٤) سورة الانفطار ، آية (٨) .

فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [١] وذلك بالمحافظة عليها وعلى استمرار حسنها وجمالها وعدم تشويهها.

د ــ الإحسان إلى المخالطين من البشر الذين يتعامل معهم، أو يقارنونه ويلازمونه فى عمله وسلوكه وذلك بدوام النظافة الشخصية التى تزيل الرائحة الكريهة التى يتأذى بها كل من يقترب منه .

هـ ــ ولهذه التوجيهات والتزامها جانب نفسى هام فحسن الهيئة العامة وجمالها يضفى على النفس انبساطاً و يجعل فى القلب انشراحاً ينعكس معاملة طيبة لمن يتعامل منهم من أفراد المجتمع .

وعلى ذلك فإن الإسلام ليس كآبة ولا عقداً نفسية كما يحاول البعض تصو ره اعتماداً على تصرفات بعض الذين لا يفهمون الإسلام فهماً صحيحاً ويسيئون إليه بسلوكهم ومظهرهم .

ومن عجيب ما نرى فى واقع الحياة اليومية أن ينسب ذوو الهيئات الرثة المبتذلة إلى الله ، فنرى رجلاً شبه أبله أو مجذوب يسيل لعابه من فمه، ومخاطه من أنفه ولا يكاد يميز شيئاً مما حوله أو شيئاً يقوله يهذى بعبارات غير مفهومه [٢] وهذا يصفه البعض بأنه رجل من رجال الله ، وعلى الطرف الآخر نرى الرجل صاحب الهيئة الجميلة منسق الثياب حسن العبارة قويم السلوك حسن الخلق والمظهر يصفونه بأنه من علية القوم ومن المرموقين ولا يوصف من أحد بأنه من رجال الله ــ وقد يكون على درجة من الصلاح تؤهله ذلك ــ وهذه نظرة مبنية على اعتقاد خاطئ هو أن الإسلام لا يهتم بالمظهر الخارجي وإنما فقط يعنى بالباطن

(١) سورة التغابن ، آية (٣) .

(٢) لا يريد المؤلف بهذه العبارة الاعتراض على فعل الله ولا على ابتلائه ذلك العبد المشار إليه، وإنما ذلك لتصوير فهم كثير من الناس للإسلام .

— ووجه خطإ هذا الاعتقاد أن الإسلام قد أمر بطهارة الظاهر والباطن ونظافتهما كل مما يتعلق به من الأدران والقاذورات المناسبة له والقلب له قاذورات تدنسه، والجسد والثياب لهما ما يدنسهما فهناك أمراض القلب كالكبر والحقد والقلق والسخط .. وهى أرجاس يجب التطهر منها كما يتطهر مما يتعلق بالجسم والثياب وهذا المعنى يستفاد من قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝ ﴾ [1] وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝ ﴾ [2] فبالتوبة يطهر القلب من الذنوب، والتطهر تطهير الجسم والثياب فجمعت الآية بين نظافة الظاهر والباطن. فشخصية المسلم متميزة عن غيرها .

مفهوم " الختان " وحكمه :

الختان مصدر ختن أى قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص، والختان والاختتان اسم لفعل الخاتن ولموضع الختان كما فى حديث عائشة "رضى الله عنها " : (إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل) .

ويكون ختان الذكر بقطع الجلدة التى تغطى الحشفة والمستحب أن تستوعب من اصلها عند أول الحشفة، ويذكر أمام الحرمين : المستحق فى الرجال قطع القلفة وهى الجلدة التى تغطى الحشفة حتى لا يبقى شىء من الحشفة متدل .

والمستحق من ختان المرأة ما قاله الماوردى : قطع جلدة تكون فى أعلى فرجها فوق مدخل الذكر كالنواة أو عرف الديك والواجب فيه قطع الجلدة

---

(١) سورة المدثر ، الآيات (١ — ٥) .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٢٢) .

المستعلية منه دون استئصاله وقد أخرج أبو داود من حديث أم عطية أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبي " ﷺ " : (لا تنهكي فإن ذلك احظى للمرأة) .

ويسمى ختان الرجل اعذاراً (بذال معجمة) وختان المرأة خفضاً (بخاء وضاد معجمتين)، وقيل أن ختان الرجل والمرأة يسميان اعذاراً والخفض يختص بالأنثى، ويقال عذرت الجارية والغلام واعذرتهما ختنتهما .

حكم الختان :

يرى الشافعي وجوب الختان دون باقي خصال الفطرة التي تضمنها الحديث، يروى الإمام أحمد وبعض المالكية أنه واجب ، وعن أبي حنيفة أنه واجب وليس بفرض، وعنه أنه سنة يأثم تاركه بتركه وفي وجه للشافعية والإمام أحمد أنه لا يجب في حق النساء .

وقيل إنه واجب في حق الرجال والمرأة لكنه آكد في حق الرجال، فإن الختان سنة للرجال مكرمة للنساء " [1] .

متى يتم الختان ؟ :

" ذكر القاضي حسين أنه لا يجوز أن يختتن الصبي حتى يصير ابن عشر سنين لأنه حينئذ يوم ضربه على ترك الصلاة وألم الختان فوق ألم الضرب فيكون أولى بالتأخير .

ويرى إمام الحرمين : أنه لا يجب قبل البلوغ لأن الصبي ليس من أهل العبادة المتعلقة بالبدن ، فكيف مع الألم ؟

ويرى السرخسي : أن ختان الصبي وهو صغير فيه مصلحة من جهة أن الجلد بعد التمييز يغلظ ويخشن ومن ثم جوز الأئمة الختان قبل ذلك ونقل عن الحسن ومالك كراهة الختان يوم السابع لأنه فعل اليهود .

---

(١) انظر : فتح الباري، لابن حجر، ج ٢٢ ص ١٠٥، ١٠٦ بتصرف كبير .

والسنة إظهار ختان الرجل وإخفاء ختان الأنثى، وقد ذكر عن عثمان ابن أبي العاص أنه دعى إلى ختان فقال : (ما كنــا نأتي الختان على عهـــد رسول الله " ﷺ " ولا ندعى له) وقيل إنه كان ختان جاريه) [١] .

الحكمة من الختان :

أ ــ الحكمة الدينية : أنه رأس الفطرة وشعار الإسلام وعنوان الشريعة، كما أنه من تمام الشريعة التى صبغت القلوب على التوحيد والإيمان والأبدان على النظافة بخصال الفطرة المذكورة فى الحديث من الختان وقص الشارب وتقليم الأظافرة ونتف الإبط .

ب ــ من الفوائد الصحية للختان : يجلب النظافة والتزين وتحسين الخلقة وتعديل الشهوة وهو تدبير صحى عظيم يقى المختتن كثيراً من الأمراض والاختلاطات فبقطع القلفة يتخلص المرء من المفرزات الدهنية، ومن السمان الشحمى المقزز للنفس ويحال دون إمكان التفسخ والانتان، كما يتخلص المرء من خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد .

ويقلل الختان إمكان الإصابة بالسرطان إذ قد ثبت أن السرطان كثير الحدوث فى الأشخاص المتضيقة قلفتهم، بينما هو قليل ونادر جداً فى الشعوب التى توجب عليهم الشريعة الختان .

كما يتجنب الطفل إذا أسرعنا فى ختانه الإصابة بسلس البول الليلى. كما يخفف الختان من كثرة استعمال العادة السرية لدى البالغين " [٢] .

وبعد فهذا هو الختان سنة من سنن الفطرة التى تجعل الشخص نظيفاً عفيفاً ويضفى على علاقة الرجل بزوجته متعة ولذة عند الجماع فيشعر كل منهما بالميل

---

(١) انظر : فتح البارى، ج ٢٢ ص ١٠٦ بتصرف شديد .

(٢) انظر : تربية الأولاد، عبد الله علوان،ج ١ ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ص ١١٢

نحو الآخر ويتعلق به بجانب مراعاة الحقوق الشرعية فى العلاقة الاجتماعية وحسن المعاشرة، وبتمام المتعة بينهما يشعر كل منهما بالشبع الجنسى والقناعة بالعلاقة الحلال المصونة بالشرع وتوجيهاته، فيعف ويغض بصره عن التطلع إلى الحرام من النساء الغاديات الرائحات، فالختان أساس لعلاقة صحيحة بين الرجل وزوجته وهما عماد الأسرة وركناها فينعكس ذلك أثراً إيجابياً على كل أفراد الأسرة مما يدعم علاقة الحب، بتميز شخصية المسلم فى أخص أمورها وهو علاقة الرجل بامرأته .

ثم تأتينا أبواق المنادين بعدم ختان الإناث حفظاً لكرامتهن ومراعاة لحقوقهن فى الإنسانية ، وما ورد من السنة فى حكم الختان وبخاصة الإناث يؤولونه ويصرفونه عن ظاهرة إضعافاً وتقليلاً لدلالته على الحكم وسوَّدت صفحات الصحف والمجلات بالأقلام والآراء المهاجمة لهذه السنة الكريمة وحملت موجات الأثير أصوات المهاجمين للختان إلى كل الأسماع وجّند بعض العلماء للرد والتعليق على دلالات النصوص فى الموضوع، والسؤال هنا : لماذا كل هذه الضجيج حول سنة فيها مكرمة للنساء ونظافة للرجال ؟ ألم يكن من الأجدر أن يكون حالنا ناطقاً بالامتثال للتوجيه النبوى سمعنا وأطعنا، غير متبعين لأهوائنا ؟

وختان الأنثى بالذات مستحب بإجماع الفقهاء والأئمة المجتهدين وهو مكرمة كما سبق بيانه .

ومن السنن (الاستحداد) :وهو كما بينه ابن حجر فى الفتح قائلاً : **والمراد به استعمال الموس فى حلق الشعر من مكان مخصوص من الجسد، ويعبر عنه بـ (حلق العانة) والمراد بالعانة الشعر الذى فوق ذكر الرجل وحواليه وكذا الشعر حول فرج المرأة، ونقل عن أبى العباس بن سريج أنه الشعر النابت حول حلقة الدبر، وحاصل ذلك كله أن إزالة جميع الشعر حول القبل والدبر وما عليهما هو الاستحداد .. وإماطة الشعر من على القبل والدبر واجبه، إلا أنها فى**

الدبر أولى خوفاً من أن يعلق شىء من الغائط فلا يزيلة المستنجى إلا بالماء ولا يتمكن من إزالته بالاستجمار ، وينقل عن النووى : أن الأولى فى حق الرجل الحلق وفى حق المرأة النتف، ورُدَّ على قول النووى بأن ذلك فيه ضرر على المرأة بالألم وعلى الزوج باسترخاء المحل، فإن النتف يرخى المحل باتفاق الأطباء .

وقال ابن العربى : إن كانت شابه فالنتف فى حقها أولى لأنه يربو مكان النتف، وإن كانت كهلة فالأولى فى حقها الحلق لأن النتف يرخى المحل [1] والغاية هى تمام النظافة وحدوث القبول فى العلاقة الزوجية والقضاء على الروائح الكريهة التى قد تنبعث من إهمال ذلك وتعلق الأوساخ والقاذورات بالمحل .

ومن السنن (نتف الإبط) : الإبط بكسر الهمزة والباء الموحدة وتأبط الشىء جعله تحت إبطه [2] ويتأدى أصل السنة بالحلق ولا سيما من يؤلمه النتف، وقد روى عن يونس بن عبد الأعلى قال : دخلت على الشافعى ورجل يحلق إبطه، فقال إنى علمت أن السنة النتف ولكن لا أقوى على الوجع [3] .

ولنا أن نتساءل لماذا النتف للإبط ؟

إن الحكمة من النتف أنه محل للرائحة الكريهة، وأن ذلك ينشأ من الوسخ الذى يجتمع بالعرق فيه فيتلبد ويهيج فشرع فيه النتف الذى يضعفه فتخف الرائحة، بخلاف الحلق فإنه يقوى الشعر ويهيجه فتكثر الرائحة لذلك .

فالنتف عبارة عن جذب الشعر الذى ينبت على الإبط وذلك على سبيل النظافة وإزالة الروائح الكريهة التى تنبعث من الأوساخ المجتمعة مع العرق فتنفر كل من يقترب من الشخص صاحب تلك الرائحة، ولا يخفى ما فى ذلك من

---

(١) انظر : فتح البارى، ج ٢٢ ص ١١٠ مع تصرف يسير .

(٢) الإبـط : بـاطن المنكب والجناح من الإنسان وهو العضد وهو من المرفق إلى الكتف أو المنكب (المعجم الوسيط ، ج ١ ص ٣) .

(٣) فتح البارى، لابن حجر، ج ٢٢ ص ١١١ ، مرجع سابق .

الحكمة البالغة فى هدى النبى " ﷺ " وهى إزالة كل كريه منفر للمسلم من أخيه المسلم .. كما أنه حفاظ على الشخصية الإسلامية وهويتها فالمسلم طيب فى ظاهره وباطنه ومظهره ومخبره .

ومن السنن تقليم الأظافر : وروى قص الأظفار، وتقليم الأظفار، والمعنى المراد واحد، والأظفار جمع ظفر بضم الظاء والفاء، أو بتسكين الفاء، والمراد به : إزالة ما يزيد على رأس الإصبع من الظفر، وذلك لأن الوسخ يجتمع فيه فيستقذر كما أنه قد يصل طول الظفر واجتماع الوسخ فيه إلى الحد الذى يمنع وصول الماء إلى ما يجب غسله فى الطهارة، وعندئذ يحكى عن الشافعى وجهان : الأول أن الوضوء لا يصح، والثانى : وهو رأى الغزالى فى الإحياء بأنه يعفى عن مثل ذلك وفيه إشارة إلى تنظيف المغابن كلها ويستحب الاستقصاء فى إزالتها إلى حد لا يدخل منه ضرر على الإصبع) [١] .

ويذكر النووى الترتيب فى تقليم الأظفار فيقول : (ويستحب أن يبدأ باليدين قبل الرجلين فيبدأ بمسبحة يده اليمنى ثم الوسطى ثم البنصر ثم الخنصر ثم الإبهام، ثم يعود إلى اليد اليسرى فيبدأ بخنصرها ثم ببنصرها إلى آخرها ثم يعود إلى الرجلين اليمنى فيبدأ بخنصرها ويختم بخنصر اليسرى والله أعلم) [٢] ويسوق ابن حجر فى الفتح ما قاله النووى فى ترتيب التقليم ويعلق بقوله : (ولم يذكر للاستحباب مستنداً (أى لم يسق دليلاً على استحباب الترتيب السابق، وقال ابن دقيق العيد : يحتاج من ادعى استحباب تقديم اليد فى القص على الرجل إلى دليل فإن الإطلاق يأبى ذلك) [٣] .

---

(١) انظر : فتح البارى ، ج ٢٢ ص ١١٢ ، مرجع سابق .

(٢) شرح النووى على صحيحه مسلم، ج ١ ص ٥٤٤، ط الشعب .

(٣) انظر : فتح البارى، ج ٢٥ ص ١١٢ ، مرجع سابق .

ولا يخفى ما فى هذه السنة من حفاظ على صحة المسلم من انتقال الميكروبات المتجمعة فى الوسخ بين الظفر دراس الإصبع، كما يتضح فيه أيضاً من مراعاة لشعور الآخرين خاصة عند الطعام من إناء واحد ، فإن من يرى الوسخ فى الظفر يوضع فى الإناء عند تناول الطعام تشمئز نفسه ويقشعر جلده ويضطرب أمعاؤه وربما أدى به ذلك إلى القئ لكن الإصبع النظيف والظفر المقلّم يجنبان المسلم كل هذا الأذى .

وهذا الهدى إرشاد إلى الذوق والإحساس بالآخرين وبمشاعرهم .

مدة الحلق والتقليم :

أخرج أصحاب السنن : (وقت لنا رسول الله " ﷺ " ، أى حدد وقتاً للحلق والتقليم وسائر السنن لا ينبغى الزيادة عليه، وهو أن يحلق الرجل عانته كل أربعين يوماً، وأن ينتف إبطه كلما طلع ولا يدع شاربيه يطولان وأن يقلم أظافره من الجمعة إلى الجمعة. والضابط فى ذلك الاحتياج)، وذكر النووى أن المستحب حَلْق جميع ما على القبل والدبر وحولهما، وأما وقت حلقه فالمختار أنه يضبط بالحاجة وطوله، فإذا طال حلق، وكذلك الضبط فى قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار، وأما حديث أنس المذكور فى الكتاب (وقّت لنا فى قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة ألا يترك أكثر من أربعين ليلة) فمعناه لا يترك تركاً يتجاوز به أربعين لا أنهم وقت لهم الترك أربعين [1] .

(١) انظر : شرح النووى على مسلم، ج ١ ص ٥٤٤ ، وفتح البارى ، لابن حجر، ج ٢٢ ص ١١٢ .

٤ - " قص الشارب وإعفاء اللحية "

أولا : قص الشارب :

ورد لفظ قص الشارب بعدة تعبيرات فى عدد من الروايات فقد ورد بلفظ " الحلق " ، " وتقصير الشارب " و " جزوا الشوارب " و " انهكوا الشوارب " وكل هذه الألفاظ لها دلالة على أن المطلوب المبالغة فى الإزالة لأن الجز وهو بالجيم والزاى الثقيلة هو قص الشعر والصوف إلى أن يبلغ الجلد،والإحفاء — بالمهملة — بمعنى الاستقصاء، والنهك هو التأثير فى الشيء، وقص الشارب : أن يأخذ ما طال على الشفة بحيث الآكل ولا يجتمع فيه الوسخ [١] يقول النووى : (يستحب أن يبدأ بالجانب الأيمن، ورواية : احفوا الشوارب ، فالمراد بها احفوا ما طال على الشفتين .

ثانيا : إعفاء اللحية :

المراد بإعفاء اللحية تركها حتى تكثّر بحيث تكون مظهراً من مظاهر الوقار فلا تقصر تقصيراً يكون قريباً من الحلق ولا تترك حتى تفحش بل يحسن التوسط فى كل شيء، ثم إنها من تمام الرجولة وكمال الفحولة [٢] ، كما أنها مخالفة للمشركين. هذا فى رواية البخارى عن ابن عمر .... وفى رواية مسلم عن أبى هريرة قال : (خالفوا المجوس) وهو المراد فى حديث ابن عمر إذ أن المجوس كانوا يقصون لحاهم ومنهم من كان يحلقها، ووفروا اللحى من التوفير وهو الإبقاء أى اتركوها وافرة .

---

(١) فتح البارى، لابن حجر، بتصرف شديد، ج ٢٢ ص ١١٤ .

(٢) انظر : فقه السنة ، السيد سابق، ج ١ ص ٣٤، ط مكتبة المسلم

ماذا يؤخذ من شعر اللحية ؟ :

يجيب الحديث الذى رواه البخارى عن ذلك بقوله : **(وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه)** وفى موطأ مالك عن نافع روى بلفظ : **(كان ابن عمر إذا حج حلق رأسه فى حج أو عمره أخذ من لحيته وشاربه)** ويفهم من الروايات أن المأخوذ من اللحية ما زاد على قبضة اليد، وقد روى عن الحسن البصرى أنه يؤخذ من طولها وعرضها ما لم يفحش، وروى ابن حجر عن عطاء قال : وحمل هؤلاء النهى على منع ما كانت تفعله الأعاجم من قصها وتخفيفها، وقال : إن الرجل لو ترك لحيته لا يتعرض لها حتى أفحش طولها وعرضها لعرض نفسه لمن يسخر به، واستدل بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده **(أن النبى " ﷺ " كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها)** وقد أخرجه الترمذى، وقد أخرج أبو داود من حديث جابر بسند حسن قال : **(كنا نعفى السبال [١] إلا فى حج أو عمـــره)** والمـــراد بقـــوله (نعفى) أى نتركه وافراً [٢] .

ويذكر النووى أن هناك خصالاً مكروهة متعلقة باللحية وهى : (الأولى خضابها بالسواد لا لغرض الجهاد، الثانية : خضابها بالصفره تشبها بالصالحين لا لاتباع السنة ، الثالثة : تبييضه بالكبريت أو غيره استعجالاً للشيخوخة لأجل الرئاسة والتعظيم وإيهام أنه من المشايخ، الرابعة : نتفها أو حلقها أول طلوعها إيثاراً للمروءة وحسن الصورة ، الخامسة : نتف الشيب، السادسة : تصفيفها طاقة فوق طاقة تصنعاً ليستحسنه النساء وغيرهن، السابعة : الزيادة فيها والنقص منها

---

(١) السبال : جمع سبل وهو طرف الشارب من الشعر (المعجم الوسيط ، ج ١) .

(٢) انظر : فتح البارى ، ابن حجر ، ج ٢٢ ص ١١٨ بتصرف .

بالزيادة فى شعر العذار [١] من الصدغين أو أخذ بعض العذار فى حلق الرأس ونتف جانبى العنفقة [٢] وغير ذلك، الثامنة : تسريحها تصنعاً لأجل الناس، التاسعة : تركها شعثه ملبدة إظهاراً للزهادة وقلة المبالاة بنفسه، العاشرة : النظر إلى سوادها وبياضها إعجاباً وخيلاً وعزة بالشباب وفخراً بالمشيب وتطاولاً على الشاب ، الحادية عشرة : عقدها وضفرها) [٣] .

متى يستحب حلق اللحية ؟ :

ذكرنا أن التشريع الإلهى والهدى النبوى يرشدان المسلم إلى أن تكون شخصية واضحة متميزة رجلاً كان أو امرأة، ومع أمره الرجال بتوفير اللحى وتركها لتكثر وإخفاء الشوارب، وهذا المظهر يعطى شخصية الرجل الكامل غير المخنث، إلا أنه استحب للمرأة إذا نبتت لها لحية أن تحلقها تحقيقاً لشخصية الأنثى غير المترجلة، ويذكر النووى ذلك فى حديثه عن حكم اللحية ، يقول : (اللحية إذا نبتت للمرأة فيستحب لها حلقها) [٤] .

ويحكى ابن حجر قول النووى فى الفتح قائلاً : (يستثنى من الأمر بإعفاء اللحى ما لو نبتت للمرأة لحية فإنه يستحب لها حلقها وكذا لو نبت لها شارب أو عنفقة) [٥] .

هذا وبالتأمل فى هذا الحديث وذلك الهدى النبوى الشريف نجـــد أن النبى " ﷺ " يرسم للمسلم شخصيته المتميزة واضحة المعالم لا غموض فيها ولا خفاء فالرجل رجل بمعنى الكلمة غير متشبه بالنساء ولا متخنثاً فى حركاته

---

(١) العذار : عذار الغلام جانب لحيته (المعجم الوسيط ج ٢) .

(٢) العنفقة هى : الشعر النابت بين الشفة السفلى والذقن .

(٣) انظر : شرح النووى، على مسلم، ج ٤ ص ٥٤٤ ، ط الشعب .

(٤) النووى على مسلم ، مرجع سابق .

(٥) فتح البارى ، ابن حجر ، ج ٢٢ ص ١١٩ ، مرجع سابق .

وسلوكه وكلامه وغنما فيه حزم الرجال وقوة عزمهم وثبات عقيدهم، وكما وجه رسولنا الكريم المسلمين إلى عدم التشبه بالنساء، نهى النساء عن التشبه بالرجال فى اللباس والسلوك والانكشاف، فإن الرجل رجل وإن المرأة امرأة ولكل شخصية حدودها ومعالمها التى تميزها .

كما حرص الإسلام على أن يكون الرجال بالذات لهم سمت خاص بهم فى المظهر الخارجى وهو قص الشارب وإعفاء اللحى وفى هذا الشكل العام تميز كامل لشخصية الرجل عن شخصية المرأة ، واعتبر حالقو لحاهم مخنثين متشبهين بالنساء لذلك فإن على المسلم أن يكون ملتزماً هدى النبى " ﷺ "، وعلى الأخص فى سنن الفطرة المذكورة فى أحاديث المبحث المذكورة قبل، فكلها نظافة وطهارة لذات المسلم لا تجعله منفراً لغيره بسبب رائحته الكريهة التى تؤذى من يشمها وذلك بنتف الإبط وحلق العانة كما سبق تفصيله فى صدر البحث ومما ينبغى الالتزام به " الختان " للذكور والإناث وقد بينا حكم كل منهما عند الحديث عن هذه لسنة خاصة وأنه تشن حملات ضد الختان وختان الإناث بالذات، واقترح أحد المسئولين بتحريم ختان الإناث يعنى اعتبار من يجرى عملية ختان الأنثى مرتكباً لجريمة ولا ندرى أى جرم فى ذلك خاصة وأن ختان الإناث مكرمة لهن، وفى تقليم الأظافر رعاية لصحة المسلم وتجنيبه الأمراض المترتبة على ما بين الأظافر ورءوس الأصابع من ميكروبات أمراض فتاكة نحن فى غنى عنها ومنعه منها عندما نراعى السنة والهدى النبوى عندما أمرنا بأمور من الفطرة والطبيعة السوية .

ما يستفاد من الهدى النبوى :

أرشدنا الهادى البشير إلى أمور هامة تعتبر أسساً تقوم عليها شخصية السلم وهى كما يلى :

١ ـــ التزام سلوك الرجال وأخلاقهم، وفى هذا الإطار حرم تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال فى اللباس والحركات والمشى والكلام، كما أمر بضرورة إخراج المخنث من بيوت النساء إذ أنه ينظر إلى النساء نظرات كلها خيانة .. ولذلك كان إخراج المخنث من البيت ضرورة شرعية بينها لنا رسول الله " ﷺ " .

٢ ـــ التزام المظهر العام لشخصية المسلم فى الشكل العام وأول سمة تعد من سنن الفطرة حلق الشارب وتوفير اللحية إذ أن ذلك من تمام الرجولة وكمالها كما أن حَلقى اللحى يعتبرون مخنثين لأنه تشبه بالنساء فى الحلق .

٣ ـــ خصال الفطرة حفاظ على مظهر الإنسان ونظافة جسمه وإزالة الميكروبات التى تنشأ بسبب القذارة وتلبد الشعر والعرق مثل الاستحداد ونتف الإبط لما ينشأ عنهما من روائح منفرة للآخرين والمسلم طيب حياً وميتاً .

٤ ـــ مشروعية ختان الذكور والإناث لما فيه من فوائد جسمية ونفسية وأنه لم يشرع عبثاً، وعلى التفصيل الوارد بالشرح فى حكمه بالنسبة للذكور والإناث يتبين خطأ المنادين بمنع الختان واعتبار من يقوم من الأطباء أو غيرهم مرتكبى جرائم .. فالشرع يراعى حال المسلم ويدعوه إلى ما يصلح شأنه ويحقق له الفائدة .

وبصفة عامة فإن أوامر الشرع ونواهيه هى فى النهاية لمصلحة المسلم فرداً ومجتمعاً، وتؤكد شخصية المسلم التى قوامها الإيمان بالله وتوحيده وطاعة أوامره واجتناب نواهيه، وقدوتنا الحسنة وأسوتنا الصالحة رسول الله " ﷺ " الذى آمنا وصدقناه وامتثلنا كل ما جاءنا به، ولذا فإن النظافة فى الإسلام وحسن المظهر ليس أمراً عادياً أو ترفيهياً، وإنما مترتب على إيماننا بالله ودينه القويم وشرعة الحكيم

وبمراعاة المسلم ذلك يكون مرتبطاً بعبادة الله دائم النظافة كامل الشخصية بدوام العقيدة فى قلبه .

٣ - الحفاظ على عفة الرجل والمرأة :

عدم الاختلاط بين الجنسين :

١ - تحريم الخلوة بالأجنبية :

الحديث السابع

روى الإمام مسلم بسنده عن ابن عباس [١] " رضي الله عنه " أنه سمع النبى" ﷺ " يقول : **(لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم ، فقام رجل فقال يا رسول الله : إن امرأتى خرجت حاجَّه وإنى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا، فقال : انطلق فحج مع امرأتك)** [٢] .

وروى عن عقبة بن عامر [٣] أن رسول الله " ﷺ " قال : **(إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله افرأيت الحمْو قال الحمْوُ الموت)** [٤] .

---

(١) سبق ترجمته .

(٢) رواه مسلم عن ابن عباس، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، ج ٣ ص ٤٨٩ . ورواه البخارى عن ابن عباس ، كتاب اللباس، باب من اكتتب فى جيش فخرجت امرأته حاجه وكان له عذر هل يؤذن له، ج ٣ ص ١٠٩٤ .

(٣) عقبة بن عامر : عقبة بن عامر الجهنى صحابى مشهور، واختلف فى كنيته على سبعة أقوال أشهرها أبو حَّماد ولى أمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين وكان فقيها فاضلاً مات فى قرب الستين وروى له الستة .

(٤) رواه مسلم، كتاب السلام ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية، ج ٥ ص ١٦ ، ط الشعب .

٢ ـ عدم التزين لغير الزوج :

روى البخارى عن عبد الله [١] : (لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى . مالى لا ألعن من لعن النبى " ﷺ " وهو فى كتاب الله ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾) [٢] ولمسلم رواية فى هذا الحديث وافيه فى الموضوع وهى :

وروى مسلم بسنده عن عبد الله [٣] قال : (لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، قال : فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت : ما حديث بلغنى عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ؟ فقال عبد الله : وما لى لا ألعن من لعن رسول الله " ﷺ " وهو فى كتاب الله، فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحى المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله " ﷻ " : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [٤] فقالت المرأة فإنى أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن، قال : اذهبى فانظرى، قال فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئاً فجاءت إليه فقالت : ما رأيت شيئاً فقال أما لو كان ذلك لم نجا معها) [٥] .

---

(١)سبق ترجمته .

(٢) رواه البخارى بسنده عن عبد الله ، كتاب اللباس ، باب المتفلجات للحسن، ج ٢٢ ص ١٥٠ .

(٣)سبق ترجمته .

(٤) سورة الحشر ، من آية (٧) .

(٥) رواه مسلم ، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة، ج ٤ ص ٨٣٦ ، ط الشعب .

٣ ـ تحريم التعرى والفتنة .

روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريـــرة [١] قال : قال رســــــــول الله " ﷺ " : **(صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)** [٢] .

٤ ـ تحريم وصل الشعر .

روى البخارى بسنـــده عن أسماء بنـــت أبى بكر [٣] " رضي الله عنها " : **(أن امرأة جاءت إلى رسول الله " ﷺ " فقالت : إنى انكحت ابنتى، ثم أصابها شكوى فتمزق رأسها وزوجها يستحثنى بها، أفأصل رأسها فسب رسول الله الواصلة والمستوصلة)** [٤] وقد فسرت الرواية التالية معنى السب بأنه اللعن ، فعـــن أسماء بنت أبى بكـــر قالت : **(لعن رسول الله"ﷺ" الواصلة والمستوصلة)** [٥] .

---

(١) سبق ترجمته .

(٢) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة ، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات ، ج ٤٠ ص ٨٤٥، ط الشعب .

(٣) أسمـــاء بنت أبى بكر : أسماء بنت أبى بكر الصديق زوج الزبير بن العوام ، من كبار الصحابة، عاشت مائة سنة وماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين، وروى لها الستة .

(٤) رواه البخارى عن أسماء بنت أبى بكر ، كتاب اللباس والزينة ، باب وصل الشعر، ج ٢٢ ص ١٤٨، فتح البارى ، حديث ٥٩٣٥ .

(٥) الـــبخارى عن أسماء بنت أبى بكر ، اللباس ، باب وصل الشعر، ج ٢٢ ص ١٤٨، حديث ٥٩٣٦ .

أ - المباحث اللغوية : [(١)]

١ — محرم : ذو الحُرمة ومن النساء والرجال : الذى يحرم التزوج به لرحمه أو قرابته .

٢ — افرأيت : الهمزة للاستفهام الفاء للعطف رأى فعل ماض وقد تكون علمية أو بصرية ، والتاء للخطاب خوطب به النبى "ﷺ" .

٣ — الحمو : هو أبو الزوج أو أبو الزوجة، وحمو الزوجة أبو زوجها وحمو الرجل أبو زوجته، ومن كان من قبله من الرجال. والمراد هنا الحمو أبو الزوج .

٤ — اكتتبت : أى قيدت نفسى، والمراد أنه قيد نفسه وكتب اسمه فى غزوة كذا .

٥ — الواشمات : الوشم هو غرز أبرة أو مسلة أو نحوها فى الكف أو المعصم أو الشفة حتى يسيل الــدم ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر .

٦ — المستوشمات : هن طالبات الوشم وهو حرام على الفاعلة والمفعول بها .

٧ — النامصات : هى التى تزيل الشعر من الوجه، وهذا العمل حرام إلا إذا نبتت للمرأة لحية فلا تحرم إزالتها .

٨ — المتنمصات : هى التى تطلب فعل ذلك التنمص بوجهها، وقيل هو تدقيق حاجب العين، وهو حرام .

---

(١) اعــتمدنا فى بيان مفردات اللغة على شراح الأحاديث النووى على مسلم وفتح البارى على البخارى والمعجم الوسيط جزء أول ، وثان .

٩ ــ المتفلجات للحسن : أى مفلجات الأسنان بأن تبرد ما بين ثناياها ورباعياتها، والفلج إحداث فرجه بين الثنايا والرباعيات لتبدو صغيرة جميلة .

١٠ ــ المغيرات خلق الله : التى تحاول أن تغير ما خلقها الله عليه من هيئة الأسنان من الفلج أو عدمه : وهو حرام لما فيه التزوير والتدليس .

١١ ــ قرأتيه وجدتيه : إثبات الياءين فى الموضعين وهى لغة والأفصح حذف الياء فيقال قرأته، وجدته . فى خطاب المؤنث .

١٢ ــ لوحى المصحف : المراد به دفتا المصحف، وهو ما يوضع فيه المصحف وهما بلغة العصر (جلدتا) المصحف (الدفة هى الجنب من كل شىء أو صفحته ومنه دفتا المصحف، ويقال : حفظ بين الدفتين)[١] .

١٣ ــ لا يخلون رجل بامرأة : أى لا ينفرد بها، وينبغى أن يكون بحضرة محرم .

١٤ ــ أرى شيئاً من هذا : المشار إليه هو الوشم والتنمص والتفلج .. أى أرى شيئاً مما لعن رسول الله " ﷺ " بسببه فاعلاته .

١٥ ــ ومالى : " ما " استفهامية، أو نافية كما قال الكرمانى وعلق ابن حجر على قول الكرمانى بأنها نافية بقوله : وهو بعيد .. فالراجح هو كونها استفهامية .

١٦ ــ فانظرى : جواب الأمر اذهبى فانظرى . أى لترى هل امرأته على شىء مما نهى عنه أو لا ؟

١٧ ــ فسب رسول الله : أى دعا باللعن .

١٨ ــ يستحثنى : أى يطلب منى وصل شعرها المتساقط .

---

(١) المعجم الوسيط ، ج ١ ص ٢٨٩ . وانظر : فتح البارى ، ص ١٤٣ ج ٢٢ .

١٩ ــ شكوى : مرض الحصبة أو الجدرى ، وعبر بالمسبب وأراد السبب إذ أن سبب الشكوى هو المرض .

٢٠ ــ الواصلة : هى التى تصل الشعر ليكون طويلاً مسترسلاً، وهى بلغة العصر صانعة " الباروكة " .

٢١ ــ المستوصلة : التى تطلب وصل شعرها، وهو حرام لما فيه من الخداع والتزوير .

٢٢ ــ سياط : جمع سوط وهو ما يضرب به من جلد سواء أكان مضفوراً أم لم يكن [1] .

٢٣ ــ كاسيات عاريات : وصف للنساء المتبرجات والمراد كاسيات من نعمة الله عاريات عن شكرها،ــ وقيل : المراد تستر بعض بدنها وتكشف بعضه، وقيل : معناه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها وهذا المعنى هو المقصود إذ أنه يتفق مع نسق الحديث وسياقه .

٢٤ ــ مائلات مميلات : أى يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل : مائلات يمشطن المشطة المائلة وهى مشطة البغايا، ومميلات أى يعلمن غيرهن تلك المشطة

٢٥ ــ اسنمة : جمع سنام وهى كتل من الشحم محدبة على ظهر البعير .

٢٦ ــ البُخْت : هى الإبل الخراسانية مفردها بختى . وهى بضم الباء وسكون الخاء .

٢٧ ــ كذا وكذا : تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه وذا اسم الإشارة، وقد تدخل عليها ها التنبيه مثل " اهكذا عرشك " وقد تكون كلمة واحدة مركبة يكنى بها عن الشىء المجهول وبالإيراد التصريح به [2] .

---

(١) المعجم الوسيط ، ج ١ ص ٤٦٣ .

(٢) المعجم الوسيط ، ج ٢ ص ٧٨٠ .

الشرح والبيان :

فى هذه الأحاديث هدى نبوى رائع إلى الحفاظ على عفة المسلم وصيانتها وسد كل الأبواب التى تؤدى إلى الوقوع فى الرذيلة وارتكاب الخطيئة .

أ ـ تحريم الخلوة بالأجنبية : فحرم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية [١] حتى لا يجد الشيطان سبيلاً إلى قلب أى من الرجل أو المرأة حيث يعبث بقلب كل منهما ويحرك شهوة الجنس ويثير الغريزة عندهما، ومن عجيب تزيين الشيطان لذلك أنه يجملها فى عينيه ويصورها له أجمل الجميلات، وما لم يكن معتصماً بالله مراقباً ربه أميناً على دينه فإنه لا يهدأ سعار الجنس عنده ولا إلحاح النفس والشيطان بوسوسته وتسهيل أمر المعصية له فلابد من الوقوع فى الرذيلة واقتراف المعصية ووجود المحرم قد يحول بين الرجل والمرأة ويحجزها عن وقوع الخطيئة وارتكاب الفاحشة .

ولما فى انفراد الرجل بالمرأة من خطورة فقد أباح النبى " ﷺ " لمن خرجت زوجته إلى الحج أن يحج مع زوجته لأنه محرم لها ، بعــد أن سأل الرجل رسول الله " ﷺ " عن ذلك بعد قول النبى : (ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم) [٢] وكان هذا السائل قد اكتتب وقيد نفسه فى غزوة مع النبى " ﷺ " فأباح له النبى ترك الغزو لمرافقة زوجته، وهذا يدل على أهمية وجود المحرم فى السفر حتى لا يتطلع إليها أحد .

وعندما حذر النبى " ﷺ " من الدخول على النساء عندما قال : (إياكم والدخول على النساء ..) سأله رجل عن حكم دخول الحمو وهو قريب زوجها

---

(١) انظر الحديث .

(٢) انظر الحديث .

كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ، والأختان [١] أقارب زوجة الرجل وهى جمع تكسير مفرده " الختن " وهو كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها وكذلك زوج البنت أو زوج الأخت .. [٢] .

يجيبه النبى "ﷺ" " الحمو الموت " ويراد به أن الخوف من الحمو أكثر من غيره والشر يتوقيع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه أحد، بخلاف الأجنبى .. وقال القاضى : معناه الخلوة بالأجنبية مؤدية إلى الفتنة والهلاك فى الدين فجعله كهلاك الموت .. [٣] ويحدد النووى المراد بالأجنبية بعد أن بين حكم خلوة الأجانب بها وهو الحرمة، وحكم خلوة محارمها هى الإباحة فيقول : (المحرم ـــ أى من الرجال ـــ هو كل من حرم عليها نكاحها على التأبيد بسبب مباح لحرمتها، وقوله على التأبيد احترازاً من أخت امرأته وعمتها وخالتها ـــ لأن حرمة هؤلاء مؤقته وليست على التأبيد ـــ كما تعد من الأجانب البنت قل الدخول بأمها) [٤] . فإذا دخل بالأم حرم عليه نكاحها على التأبيد، ومن المحرمات على التأبيد : الأمهات والبنات والأخوات، والعمات، والخالات، وبنات الأخ، وبنات الخت .. سبعة أنواع وهؤلاء يحرمن النسب، وممن يحرمن بسبب المصاهرة : أم الزوجـــة وأم أمها وأم أبيها، وابنة الزوجة التى دخل بها [٥] والمحرمات من النسب يحرمن من الرضاع [٦] فكل هؤلاء محارم له وهو محرم لهن لانهن جميعاً يحرمن عليه على التأبيد لا على التأقيت وحدود المباح النظر إليه

---

(١) أختان بفتح الهمزة وتسكين الخاء المعجمة وهى جمع تكسير .

(٢) انظر : المعجم الوسيط ، ج ١ ص ٢١٨ .

(٣) انظر : شرح النووى على مسلم ، ج ٥ ص ١٦، ط الشعب .

(٤) النووى ، مرجع سابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٥) والقاعدة المعروفة فى هذا :الدخول بالأمهات يحرم البنات،والعقد على البنات يحرم الأمهات .

(٦) انظر : فقه السنة،الشيخ / السيد سابق، ج ٢ ص ٦١ وما بعدها، ط مكتبة المسلم ، بدون .

من المحارم أنه يباح للذكر المحرم النظر من ذوات محارمه إلى مواضع زينتها الظاهرة والباطنة وهى الرأس والشعر والعنق والصدر والأذن والعضد والساعد والكف والساق الذى تحت الركبة إلى القدم والوجه والثدى .

أما عدا ذلك من البطن والظهر والفخذ فلا يحل له النظر إليه أبداً .

والنظر إلى الأجنبية لا يجوز للرجل البالغ ولو كانت غير مشتهاه، والرجل الأجنبى هو من يحل للمرأة الزواج منه كابن عمها وابن عمتها وابن خالها وابن خالتها وزوج أختها (إذا طلقت الأخت أو توفيت لأن وجودها كزوجة يمنع زوجها من الزواج من أختها) وزوج خالتها، والمرأة الأجنبية هى من يحل للرجل الزواج منها .

ويلحق فى هذا الحكم بالرجل الصبى المراهق المميز الذى يستطيع أن يفرق بين الشوها والحسناء فلا يجوز لأحدهما النظر إلى المرأة الأجنبية) [١] .

ويذكر صاحب الإقناع أن النظر إلى الأجنبية غير الوجه والكفين ولو غير مشتهاه قصداً لغير حاجة فقير حائر قطعاً وإن أمن الفتنة، أما نظره إلى الوجه والكفين فحرام عند خوف الفتنة التى تدعو إلى الاختلاء بها لجماع أو مقدماته بالإجماع .. ولو نظر إليها (الوجه والكفين) وهو قصد التلذذ بالنظر المجرد وأمن الفتنة فحرام .. والنظر إلى المخطوبة وجهها وكفيها، والنظر لأجل الطب والمداواة إلى المواضع التى يحتاج إليها، والنظر من أجل الشهادة فى إحدى القضايا، ويجوز فى المعاملات النظر إلى الوجه فقط كل هذه الصور من النظر إلى المرأة الأجنبية جائزة شرعاً ..

ويقول : (متى حرم النظر حرم اللمس لأنه أبلغ منه فى اللذة وإثارة الشهوة بدليل أنه لو لمس فأنزل أفطر، ولو نظر فأنزل لم يفطر ..) [١] .

---

(١) انظر كتاب : تربية الأولاد فى الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ج ص ١٠٤، مرجع سابق .

ومن أبواب سد الفتنة وإغلاق الطريق على الشيطان،

ب ـ تحريم التبرج وتغيير خلق الله : فقد حرم التبرج وتغيير خلق الله وذلك للحسن والفتنة [٢] ، فدعا النبى " ﷺ " باللعن والطرد من رحمة الله على النساء الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، ويذكر النووى قائلاً : (قال أصحابنا هذا الموضع الذى وشم يصير نجساً فإن أمكن إزالته بالعلاج وجبت إزالته، وإن لم يمكن إلا بالجرح فإن خاف منه التلف أو فوات أو منفعة عضو أو شيئاً فاحشاً فى عضو ظاهر لم تجب إزالته، فإن بان لم يبق عليه إثم، وإن لم يخف شيئاً من ذلك لزمه الإزالة [٣] فنخلص من ذلك أن إزالة الوشم واجبة إذا لم يكن هناك ضرر، فإن كان ضرر لم تجب .

أما التفلج .. وهو برد ما بين أسنانها الثنايا والرباعيات، والتفلج إحداث فرجه بين الثنايا والرباعيات وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها فى السن إظهاراً للصغر وحسن الأسنان لأن هذه الفرجة اللطيفة تكون للبنات الصغار فإذا عجزت المرأة وكبرت سنها وتوحشت فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر .. وهذا خداع وتزوير للهيئة تغرى كثيراً من الرجال فيقعون فى الفتنة .. وما أكثر هذه الحالات فى عصرنا الحاضر .

متى يكون التفلج مباحاً ؟ :

لو تأملنا قول النبى " ﷺ " : (والمتفلجات للحسن) فقيد لعن المتفلجة بقوله (للحسن) أى من أجل إظهار الحسن والفتنة بتزوير الشكل والسن، أما إذا كان التفلج لضرورة طبية كعلاج لعيب فى السن أو نحو ذلك من أمراض الأسنان

---

(١) الإقـنـاع فى حل ألفاظ أبى شجاع، الخطيب الشربينى، تحقيق : الشيخ / على محمد عوض، الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود، صج ١ ص ٢٤٠، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، أولى، ١٩٩٤م .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم، ج ٥ ص ٨٤٠ ، ط الشعب .

(٣) انظر : شرح النووى، ج ٥ . وفتح البارى، لابن حجر، مع تصرف كبير .

واللثة المعروفة فى عصرنا الحاضر فلا بأس منه ولا حرج فيه إذ أن لكل امرئ ما نوى .

ونفس المعنى يمكن تطبيقه على المتنمصة التى تزيل الشعر من الوجه بواسطة النامصة إذا كانت إزالة الشعر من وجه المرأة إزالة لشعر لحية أو شارب فلا حرج فى إزالتها، والتنمص حرام فى الأصل ولا يباح إلا فى حالة ما إذا نبتت للمرأة لحية أو شارب ، ويعلق النووى بقوله : (لا تحرم إزالته بل هو مستحب عندنا)[1] ، فحرمت هذه الأمور لما فيها من تغيير لخلق الله بقصد التزوير والخداع فى المظهر فتنة للرجال وجذبهم إلى فاعلة ذلك .

وقد تكون زوجة هذا الرجل المفتون ــ أو الذى وقع فى شراك الغش والتزوير الذى صنعته هذه المرأة الخدَّاعة ــ أصغر سناً من ممن نصبت له شراكها ليقع فيها، إذ أن الزوجة قد تكون على طبيعتها فلا تتنمص ولا تتفلج ولا تتشم ، وقد تكون جميلة مقبولة بغير هذا كله ، أما الفاتنة بعد وقوع الرجل فى شراكها تعود إلى طبيعتها ويظهر سنها الحقيقى وتعوجُ أسنانها ويكسو شعر الحواجب عينيها وجبهتها بعد سقوط القشرة المزيفة .

الإغراء فى الحركات والمشى والتعرى :

وهذا المعنى الذى بينه رسول الله " ﷺ " فى حديثه عن صنفين فى النار، أولهما : الظالمون الذين يؤذون عباد الله ويضربونهم بغير ذنب، أنهم جلادو السلطات الظالمة التى تأخذ بالشبهات وتوقع العقوبات على غير مستحقيها بينما يرفل الجناة الحقيقيون فى نعيم رضا السلطات التى يروق لها النفاق والمجاملات الكاذبة، وهؤلاء قد استحقوا النار لاعتدائهم على عباد الله ظلماً وعدواناً وزوراً

---

(١) انظر : النووى ، ج ٥ ص ٨٤٠، مرجع سابق . وانظر : فتح البارى، لابن حجر، ج ٢٢ ص ١٤٤، مرجع سابق .

وبهتاناً ونسوا ان الله تعالى مطلع على ظلمهم ومحاسبهم عليه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ (١) أما الصنف الثانى فهو النساء الفاتنات المتبرجات اللواتى يغرين ضعفاء الإيمان من الرجال ويفتنهم بجذب أنظارهم إليهن بما هن فيه من حسن وتبرج شيطانى فهن الكاسيات العاريات اللواتى يرتدين ثياباً مكشوفة تظهر المفاتن وتكشف الصور والنهود والأكتاف والأرداف، أو يلبسن ثياباً شفافة تظهر لون الجسم تحتها فكأنها عارية، فهن كاسيات بجزء من الثوب عاريات من أغلب الثوب مائلات أى يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن أو مائلات يمشطن المشطة المائلة وهى مشطة البغايا، مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة، رءوسهن كأسنمة البُخت المائلة والمراد أنهن يكبرن رءوسهن ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة ونحوها) (٢) .

ويذكر النووى تفسيراً لأوصاف النساء الكاسيات العاريات فى الحديث فيقول : (قيل معناه كاسيات من نعمة الله عاريات عن شكرها، وقيل : معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً بحالها، وقيل معنـــاه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها، وأما (مائلات) فقيل : معناه مائلات عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، (مميلات) أى يعلمن غيرهن فعلهن المذموم) (٣) .

وأيا ما كان تفسير المعانى المرادة من الأوصاف فهن على الإجمال منحرفات فاتنات حالهن يدعو إلى الانحراف والمروق من الشرع، ولذا فإنهن من أهل النار لأن خطأهن ومعاصيهن لم يقتصر عليهن فقط وإنما تعدتهن إلى كل رجال

---

(١) سورة إبراهيم ، آية (٤٢) .

(٢) انظر : شرح النووى ، على مسلم ، ج ٤ ص ٨٤٠ .

(٣) انظر : شرح النووى ، ج ٤ ص ٨٤٠ ، مرجع سابق .

المجتمع ونسائه، لوقوع الرجال فى الفتنة، ولمحاكاة النساء لهن بتقليدهن والتعلم منهن فتنتشر الفاحشة وتذيع فى المجتمع .

وهذان الصنفان قال عنهما النبى " ﷺ " : (من أهل النار ـــ لم أرهما) فلما يكونا موجودين ، لكنهما وجدا بعد زمن النبوة وانتقاله " ﷺ " إلى الرفيق الأعلى، وهذا إخبار بغيب فهذا الحديث من معجزات النبوة [1] .

وإذا كان رسول الله " ﷺ " قد دعا باللعن على الواشمة والنامصة والمتفلجة، ولعن الواصلة والمستوصلة، وبين لنا أن من أهل النار النساء الكاسيات المائلات المميلات رءوسهم كأسنمة البخت المائلة وأنهن لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها .. وحرم التبرج فى اللباس وتزييف الواقع وتزويره فى شخصية المرأة عن طريق الوصل والوشم والتنمص وسائر المساحيق والأصباغ المخفية للحقيقة فإن هذا كله لسد أبواب الفتنة والانحراف وشيوع الفواحش .

وإذا كانت الزينة لزوج فهى حلال مباحة، لأن فيها إحصانه وإعفافة من النظر إلى الأجنبيات المتزينات للفتنة والإغراء ، لأنه سيجد زوجته خيراً منهن وأجمل، أما إذا كانت لغير زوج ولغرض الفتنة للرجال وإيقاعهم فى شباكها فهى حرام .

جـــ ـــ تحريم الإغراء فى الشكل والحركة :فقد حرم ولعن الواصلة والمستوصلة ، والواصلة هى التى تصل شعرها بنفسها أو تطلب من غيرها أن يفعل ذلك وهذه الزيادة فى الشعر توهم من يراها أنه نفس الشعر وقد يكون الشعر الطبيعى للواصلة قصيراً مقصفاً خشناً، فيتصل به الشعر المستعار وقد يكون طويلاً مسترسلاً ناعماً براقاً فينخدع به كل من يراه فيقع فى شراك الخديعة والزيف، ومما يؤكد النهى واللعن حديث المرأة التى تزوجت فمرضت فسقط شعرها فأرادوا أن

---

(١) انظر : السابق، نفس الصفحة والجزء .

يصلوها فسألوا النبى " ﷺ " فقال : لعن الله الواصلة والمستوصلة، مع أن هذه الفتاة التى تزوجت تمزق رأسها كما فى رواية أسماء بنت أبى بكر " رضي الله عنها " .

ووصل الشعر أى الزيادة فيه من غيره .. ويفصل ابن حجر الحكم فى مسألة وصل الشعر .. نقل عن الفقهاء أن الممتنع من ذلك وصل الشعر بالشعر، أما إذا وصلت شعرها بغير الشعر من خرقة وغيرها فلا يدخل فى النهى .

ونقل أبو داود بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال : لا بأس بالقرامل وبه قال أحمد ، والقرمل بفتح القاف وسكون الراء نبات طويل الفروع لين والمراد به خيوط الحرير، كذلك لا بأس بالصوف يعمل ضفائر تصل به المرأة شعرها، وفصل بعض الفقهاء : بين ما إذا كان ما وصل به الشعر من غير الشعر مستوراً بعد عقده مع الشعر بحيث يظن أنه من الشعر ، وبين ما إذا كان ظاهراً فمنع الأول قوم فقط لما فيه من التدليس وهو ـــ أى الرأى ـــ قوى ، ومنهم من أجاز الوصل مطلقاً سواء كان بشعر آخر أو بغير شعر إذا كان بعلم الزوج وبإذنه [1] ويذكر النووى ـــ بعد ذكر أن خلاف الفقهاء فى وصل الشعر بشعر أو بغيره : (النهى مختص بالوصل بالشعر ولا بأس بوصلة بصوف وخرق وغيرها، قال القاضى : فأما ربط خيوط الحرير الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر فليس بمنهى عنه لأنه ليس بوصل ولا هو فى معنى مقصود الوصل، وإنما هو للتجمل والتحسين .. وفى الحديث دلالة على أن وصل الشعر من المعاصى الكبائر للعن فاعله، وفيه أن المعين على الحرام يشارك فاعله فى الإثم كما أن المعاون فى الطاعة يشارك فى ثوابها) [2] ونخلص من هذا أن وصل الشعر حرام منهى عنه، وإذا أذن لها زوجها فهو جائز لأنه فى حالة علم الزوج به انتفى عنه التدليس والخداع أساس النهى .

---

(١) انظر : فتح البارى ، ابن حجر ، ج ٢٢ ص ١٤٦ .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم ، ج ٤ ص ٨٣٦ ، ط الشعب .

وفى تحريم الخلوة بالأجنبية تحريم للاختلاط وفيه سد للفتن وغلق كل أبوابها إذ أن الشيطان ثالث الرجل والمرأة الأجنبية فيعمل عمله فى تهيئة مناخ المعصية والوقوع فى المحظور، ولذا حرم الإسلام كل مقدمات الفساد فقد حرم النظر واللمس والخلوة وخضوع المرأة بالقول والتلطف فيه، ومع كل هذه التحذيرات والموانع نجد كثيراً من الأسر تتهاون فى مسألة خلوة الخاطب بمخطوبته فى الأسرة فيتاح لهما الخلوة وربما فى حجرة مغلقة بدعوى أن يتعرف كل منهما على طباع الآخر وتكثر الخلوات وتتعدد والأسرة لا تهتم، بل وربما يتعدى الأمر نطاق الأسرة والبيت فينفرد بها خارج المنزل ربما فى جانب من حديقة عامة أو فى " كازينو " أو فى رحلة خلوية بعيدة عن العيون متناسين هدى النبى " ﷺ " فى التشديد على عدم الخلوة بامرأة أجنبيه إلا ومعها محرم، ومتناسين كذلك أن رسول الله " ﷺ " لم يبح رؤية الخاطب للمخطوبة إلا عند خطبتها حيث قال للخاطب : انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم المودة بينكما) وهذا يكون أمام الأسرة حتى يُرى مدى توافق الطباع وتآلف الأرواح الذى يحس من الدقائق الأولى) [1] .

حجاب المرأة بين الخمار والنقاب :

من خلال ما سبق تبين لنا أن التبرج والزينة واستخدام المساحيق إذا كان لغير زوج أو خارج المنزل، وكان للإغراء وإظهار المفاتن فهو حرام، ملعونة من تفعله أو تطلب من غيرها فعله لها .

ولذا فإن أمر المرأة مبنى على التستر والاحتجاب فها هو رب العزة يقول ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن

---

(١) انظر كتابنا : المسلمون بين الماضى والحاضر، ص ٧٤ ، ط دار الاتحاد التعاونى للطباعة، ط أولى ، سنة ١٩٩٧م .

يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (٢) .

فالآيتان تنهيان عن التبرج (إذ أنه تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه) (٣) فآية النور تتحدث عن النساء اللواتى انقطع عنهن الحيض ولا يتطلعن إلى الزواج وهن ليس عليهن من الحجر ما على غيرهن من النساء الشابات المتطلعات إلى النكاح، والثياب المباح وضعها الجلباب أو الرداء وتقوم بين يدى الرجل فى الدرع والخمار وغير متبرجات بزينة يقصد بها الزينة التى فى الجلباب — ولا يتبرجن بوضع الجلباب ليرى ما عليهن من الزينة — ونقل ابن كثير عن أم المؤمنين السيدة عائشة " رضى الله عنها " أنها قالت للنساء اللواتى سألنها عن ذلك : (يا معشر النساء قصتكن كلها واحدة أحل الله لكنَّ الزينة غير متبرجات أى لا يحل لكن أن يروا منكن حراماً) (٤) .

وآية الأحزاب أمر من الله تعالى لنساء النبى " ﷺ " ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ والمعنى : الزمن بيوتكن ولا تخرجن منها لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية الصلاة فى المسجد بشرطه وهو أن تخرج إلى

---

(١) سورة النور ، آية (٦٠) .

(٢) سورة الأحزاب ، من آية (٣٣) .

(٣) انظر : فقه السنّة ، السيد سابق ، ج ٢ ص ١٨٠، مكتبة المسلم .

(٤) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٣٠٤ ، ط الحلبى .

المسجد تفلة [1] ، ونهيه عن تبرج الجاهلية الأولى ، فالمراد بالتبرج أنها تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك هو التبرج) [2] .

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [3] .

(فقد أمر الله رسوله "ﷺ" أن يأمر نساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء، والجلباب هو الرداء فوق الخمار فهذا أمر لنساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة ..) [4] .

ويقول تعالى عن الخمار: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [5] .

يسوف ابن كثير سبب نزول هذه الآية الكريمة أن أسماء بنت مرثد كانت فى محل لها فى بنى حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدو ما فى

---

(١) تفلـــة : أى غـــير متطيـــبة أو متزينة متغيرات الرائحة والمراد أن يكن غير لافتات للأنظار مسترعيات للانتباه فيكن مستترات .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير، ج ٣ ، مرجع سابق .

(٣) سورة الأحزاب ، آية (٥٩) .

(٤) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٥١٨ ، مرجع سابق .

(٥) سورة النور ، جزء من آية (٣١) .

أرجلهن من الخلاخل وتبدو صدورهن وذوائبهن فقالت أسماء ما أقبح هذا فأنزل الله ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ .. إلخ) فحرم الله عليهن النظر إلى غير أزواجهن، ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجال الأجانب بشهوة أو بغير شهوة) [١].

وقوله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ يعنى المقانع يعمل لها صفات ضاربات على صدورهن لتوارى ما تحت صدرها وترائبها ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فانهن لم يكن يفعلن ذلك بل كانت المرأة منهن تخرج مارة بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها ..) [٢].

وقد عرف علماء اللغة الجلباب بأنه : (القميص، والثوب المشتمل على الجسد كله) والخمار ما يلبس : (فوق الثياب كالملحفة والملاءة تشتمل بها المرأة) [٣] ، وقالوا عن الخمار : (كل ما ستر ومنه خمار المرأة، وهو ثوبٌ تغطى به رأسها، ومنه العمامة لأن الرجل يغطى بها رأسه ويديرها تحت الحنك، وفى الحديث أنه كان يمسح على الخف والخمار) [٤] وقالوا عن النقاب : (تنقبت المرأة أى

---

(١) انظر تفصيل الحكم فى تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٨٣ ، ط الحلبى .

(٢) مـا ذكره ابن كثير من أحوال نساء الجاهلية وتبرجهن وعدم ضربهن بالخمار وشبه العرى ، يحدث أكثر منه من كشف الصدر والثدى والذراع والسيقان فى عصرنا الحاضر وهو مظهر كثير من الفنانات الناشئات التى تقوم صلتهن وعلاقتهن على أساس الاختلاط والتبرج وشبه العراء .

(٣) المعجم الوسيط ، ج ١ ص ١٢٨ .

(٤) السابق ، ص ٢٥٥ .

شدَّت النقاب على وجهها، ومن معانى النقاب : القناع تجعله المرأة على مارن أنفها تستر به وجهها) [١] .

فالجلباب : ثوب مشتمل على جميع الجسد، والخمار : كل ما يلبس فوق الثياب وهى كل ما ستر وتغطى به المرأة رأسها، والنقاب : هو ما تجعله المرأة على مارن الأنف لتستر به وجهها، فبأى هذه الأشياء يتحقق حجاب المرأة المسلمة ؟

يتحقق بالجلباب المعتبر شرعاً وهو ما تحققت فيه الشروط الآتية :

١ ـــ ألا يكون زينة فى نفسه . ٢ ـــ أن يكون صفيقاً لا يشف .

٣ ـــ أن يكون فضفاضاً غير ضيق لا يصف الجسم .

٤ ـــ ألا يكون مبخراً مطيباً برائحة طيب أو مسك .

٥ ـــ ألا يشبه لباس الرجال . ٦ ـــ ألا يشبه لباس الكافرات .

٧ ـــ ألا يكون لباس شهرة بمعنى أن يراد التفاخر به .

٨ ـــ أن يستوعب جميع البدن إلا ما استثنى " [٢] .

والمستثنى هو الوجه والكفان وما عداهما من البدن فهو عورة يجب سترها، وقد اتفق جمهور الفقهاء أن عورة المرأة جميع البدن ما عدا الوجه والكفين، والعورة المشار إليها والمقصودة فى أقوالهم هى ما يجب سترها فى الصلاة ، " وبدن المرأة كله عورة يجب عليها ستره ماعدا الوجه والكفين، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ أى لا يظهرن مواضع الزينة إلا الوجه والكفين كما جاء ذلك صحيحاً عن ابن عباس وابن عمر وعائشة وعنها أن النبى

---

(١) السابق، ج ٢ ص ٩٤٣ .

(٢) انظر كتابنا : أهمية التوعية الإسلامية للمرأة، ص ١٩ ، نقلاً عن كتاب : المرأة ومكانتها فى الإسلام ، ص ٧٠ .

" ﷺ " قال : (**لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**) والمراد بالحائض البالغة والخمار غطاء الرأس " [١] والمستثنى من البدن " الوجه والكفان " ثبت بحديث عائشة أن أختها أسماء بنت أبي بكر الصديق " رضي الله عنه " دخلت على النبي " ﷺ " في لباس رقيق يشف عن جسمها فأعرض النبي عنها وقال :(**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه**) [٢] فالمرأة البالغة يجب ستر جسمها ويجوز لها كشف الوجه والكفين على حد تعبير الحديث المذكور .

وفي تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ أورد حديثاً يبين مدى التزام نساء المؤمنين بأوامر الشرع الحكيم في اللباس قال : لقد أنزلت سورة النور : (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها [٣] المرحل فاعتجرت [٤] به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله " ﷺ " معتجرات كأن على رءوسهن الغربان " ويقول : رواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة ويسوق حديثاً عن عائشة " رضي الله عنها " قالت : (**يرحم الله النساء**

---

(١) فقه السنة ، الشيخ / السيد سابق ن ج ١ ص ١٠٨ ، مكتبة المسلم .

(٢) الحديث مخرج في حجاب المرأة المسلمة وهو حسن، حديث رقم ١٨٧ ، ص ١٣٣، تخريج الألباني .

(٣) المرط (بكسر الميم) هو كساء من خز أو صوف أو كتان يوتزر به وتتلفح به المرأة (المعجم الوسيط ، ج ٢ ص ٨٦٤) .

(٤) اعتجر فلان بالعمامة لفها على رأسه ورد طرفها على وجهه، واعتجرت المرأة اختمرت بالعجار .

المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ شققن اكتف مروطهن فاختمرن بها)[1] فالمجتمع المسلم متميز عن غيره بصون المسلم عن الفتنة وإبعاده عنها وحرم الاختلاط بالأجنبيات تحت أى مسمى أو شعار كالحرية أو " الإتكيت " لما فى ذلك من شيوع الفاحشة والفساد الاجتماعى والأسرى وانهيار الأخلاق ودعا المرأة المسلمة إلى عدم وضع الزينة والتبرج خارج البيت لفتنة المارة بالطريق على نحو ما يشيع بيننا فى المجتمع من العرى والانحلال والرقص المختلط تحت مسمى التقدم والاقتداء بالحضارة الغربية ـــ وهى أفكار مضللة تصدر إلينا عن طريق قنوات التلفاز عبر شبكات الاتصال العالمية (الدش) حتى صار العالم كله كقرية واحدة ـــ فلا سبيل إلى السلام الاجتماعى وتحقــق الأخلاق الكريمة إلا بالاعتصام بدين الله القويم وصراطه المستقيم .



---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٨٤ .

الفصل الثالث

علاقة الإنسان بالبيئة

أ ـ علاقته بالبيئة الاجتماعية :

١ ـ الاستئذان .

٢ ـ إفشاء السلام .

ب ـ علاقته بالبيئة الطبيعية :

١ ـ الظواهر الكونية .

٢ ـ علاقته بعناصر البيئة المحيطة به .



أ ـ علاقته بالبيئة الاجتماعية

الاستئذان

مـــن الأمـــور والآداب الاجتماعية التى شرعها لنا الإسلام وهدانا إليها الكتاب والسنة النبوية أن يستأذن المسلم أخاه عند قدومه إليه ودخول بيته، ذلك فى إطار حفظ حرمات البيوت وستر العورات .

وذلك سداً لأبواب الفتن وقطعاً للمنازعات وحفظاً لسلامة المجتمع وتقوية لأواصر العلاقات الاجتماعية فى تعامل الأفراد والأسر .. ويقول المولى سبحانه منادياً عباده بصفة الإيمان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١) ، ويقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النور، آيات (٢٧، ٢٨، ٢٩) .

(٢) سورة النور، آيتا (٥٨، ٥٩) .

وهدى النبوة فى ذلك أحاديث عديدة وصحيحة :

الحديث الثامن

روى مسلم بسنده عن بشر بن سعيد [1] ﷺ قال : سمعت أبا سعيد الخدرى [2] يقول:(كنت جالساً بالمدينة فى مجلس الأنصار فأتانا أبوس موسى [3] فزعاً أو مذعوراً، قلنا : ما شأنك ؟ قال : إن أرسل إلىَّ أن آتيه فأتيت بابه فسلمت ثلاثاً فلم يَرُدَّ على، فرجعت، فقال : ما منعك أن تأتينا ؟ فقال : إنى أتيتنك فسلمت على بابك ثلاثاً فلم يردُّوا علىَّ فرجت، وقد قال رسول الله ﷺ : إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليراجع، فقال عمر : أثم عليه البينة وإلا أوجعتك، فقال أبى بن كعب : لا يقوم معه إلا أصغر القوم، قال أبو سعيد : قلت : أنا أصغر القوم، قال : فاذهب معه) [4] .

وفى رواية له عن ابى موسى الأشعرى،[5] قال : (جاء أبو موسى إلى عمر ابن الخطاب فاستأذن فلم يؤذن له فانصرف فقال : ردُّوا علىَّ ردُّوا علىَّ، فقال : يا أبا موسى ما ردَّك ؟ كنا فى شغل . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) بشر بن سعيد : هو بشر بن سعيد المدنى العابد مولى أبي الحضرمى وهو ثقة جليل، روى له الستة ، مات سنة مائة هجرية .

(٢) أبو سعيد الخدرى: هو سعد بن مالك بن سنان أبو سعيد الخدرى، له ولأبيه صحبه استصغر يوم أحد ثم شهد ما بعدها وروى له الكثير، ورى له الستة، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين ، وقيل سنة اربع وسبعين .

(٣) أبو موسى الأشعرى: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، بفتح المهملة وتشديد الضاد المعجمة، أبو موسى الأشعرى صحابى مشهور أمره عمر ثم عثمان وهو أحد الحكمين بصفين، روى له الستة، مات سنة خمسين هجرية وقيل بعدها .

(٤) رواه مسلم عن بشر بن سعيد، كتاب : الآداب، باب : الاستئذان، ج ٤ ص ٨٥٩، ط الشعب، بدون سنة طبع .

(٥)سبق ترجمته .

الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع، قال : لتأتينى ببينة وإلا فعلت .. وفعلت) [١] .

الاستئذان من أجل البصر :

الحديث التاسع

روى مسلم بسنده عن سهل الساعدى [٢] أنه أخبره أن رجلاً اطلع فى جحر رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مدرىً يحك بها رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : (لو أعلم أنك تنظرنى لطعنت به فى عينيك، وقال ﷺ : إنما جعل الإذن من أجل البصر) [٣] .

أولاً : المباحث اللغوية :

أ ـ فـزعاً : أى خائفاً مذعوراً، أو هو النفور من شيء من مخيف وفزع بفتح الفاء وكسر الراء صيغة مبالغة تدل على شدة الخوف .

ـ قال : لإن عمر : القائل هو أبو موسى والجملة فى محل نصب مقول القول .

ـ فقال : ما منعك : القائل هو عمر ﷺ، وما استفهامةن، أى شيء منعك والمخاطب بالكاف هو أبو موسى .

ـ المراد مراد الجماعة فى " يردوا " : هم الصحابة .

ـ فليرجع : الفاء واقعة فى جواب الشرط، أداته (إذا) وفعل الشرط (استأذن) واللام للأمر .

---

(١) الحديث بتمامه رواه مسلم عن أبى موسى الأشعرى، كتاب : الآداب ـ الاستئذان، ج ٤ ص ٨٦٢، وروى نحوه الترمذى عن أبى سعيد .

(٢) سهل الساعدى : سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجى الساعدى أبو العباس، له ولابنه صحبة مشهور، روى له الستة، مات سنة ثمان وثمانين عن عمر يناهز المائة .

(٣) رواه مسلم عن سهل الساعدى، كتاب : الآداب ـ الاستئذان، باب : تحريم النظر فى بيت غيره، ج ٤ ص ٨٦٤ ، ط الشعب .

ب ــ **شغل** : أى فى لهو عنك أى كنا مشغولين بما لهانا عنك، كقوله تعالى : (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) أى فى لذة ومتعة .

ــــ **الاستئذان** : هو طلب الأذن فى الدخول لمحل لا يملكه المستأذن، والهمزة والسين والتاء للطلب (استأذن) .

ــ **البينة** : هى الدليل والبرهان والمراد به ما يوثق الرواية .

ــ **وإلا فعلت** : إن الشرطية ولا النافية (أن لا) إن لم تأت بالبينة ولا وجوده لها فعلت والمراد بفعلت العقاب والإيجاع وقد فسرها الرواية الأخرى أثم عليه البينة وإلا أوجعتك .

ج ــ **جحر** : بضم الجيم وإسكان الحاء (المهملة) هو الخق، وهو الثقب المستدير فى أرض أو حائط وأصلها مكان الوحش، أما حجر بضم الحاء (المهملة) وفتح الجيم فهو جمع حجرة وهى ناحية من البيت .. والمراد أنه نظر إليه من خرق أو ثقب، أو نظر إليه فى حجرة كان بها .

ــــ **مدرىً** : بكسر الميم وإسكان الدال هى حديدة يسوى بها شعر الراس فهى كالمشط .

ــــ **رآه** : الرائى هو رسول الله ﷺ، والمرئى : هو الرجل المتطلع إلى جحر النبى، وهو المراد بضمير النصب (الهاء) .

ــــ **به فى عينيك** : الهاء تعود على المدرى وهو لفظ مؤنث ويذكر والكاف ضمير فى محل جر ويراد به الرجل .

ــــ **من أجل البصر** : أى شرع من أجل تحريم البصر إلى دار غيره والاطلاع على عوراته، والمراد من أجل صيانة البصر وحفظه من النظر إلى الرام وهذه حكمة التشريع .

ثانياً : الشرح والبيان :

هذا التشريع الحكيم الذي يحفظ للبيوت حرماتها يأمرنا فيه المشرع الحكيم جل وعلا بأن نستأذن أى نطلب الأذن من أهل البيوت التى نريد دخولها لأمر مَّا وعندما يأمرنا بالاستئذان وينهانا عن ولوج الديار بلا أذن يقحم غير المستأذن نفسه بين أهلها وسكانها .. ينادينا ربنا فى هذا المجال بوصف الإيمان حيث يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ وهذا يدل على أن مراعاة هذا الجانب فى العلاقات الاجتماعية مرتبط بالإيمان بالله ومن لوازنه، وتذكه تقصير فى العمل الصالح المقترن دائماً بالإيمان فى أغلب الآيات القرآنية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [1] فالإيمان الصادق معه عمل صالح، وقد قال العلماء أن الاستئناس هو الاستئذان، والسلام قوله : (السلام عليكم) .

أ ــ وها هو الصحابي الجليل أبو موسى الأشعرى يأتى فى خوف شديد فيسأله الحاضرون من الأنصار أصحاب رسول الله ﷺ : ما شأنك أى ما الذي جعلك هكذا خائفاً مذعوراً وهذا الأمر شديد .. فقص عليهم قصته مع سيدنا عمر ﷺ عندما طلبه أمين المؤمنين، فجاء أبو موسى وطلب الأذن وألقى السلام فلم يرد عليه أحد فانصرف وسأله عمر لماذا لم تأتنا عندما طلبناك ما الذي منعك أى حبسك عن الحضور، فقال له أبو موسى : لقد جئت وسلمت على بابك عملاً بقول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ فلم يردوا على ويخبره بقول النبى ﷺ : (إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع) فإذا بأمير المؤمنين يطلب الدليل والبينة على صحة الرواية، ويتوعده بالعقاب إذا لم يفعل

---

(١) سورة الكهف، الآية (١٠٧) .

بقوله : وإلا أوجعتك، أى إن لم تأتنى بالبينة الشاهدة لما تقول، ويقوم معه أصغر القوم وهو أبو سعيد الخدرى فذهب معه .. إلى عمر ﷺ، كما رواه البخارى : (.. والله لتقيمن عليه ببينة، أمعكم أحد سمعه من النبى ﷺ فقال أبى بن كعب : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه لأخبرت عمر أن النبى قال ذلك) [1] .

فقد تضمن الحديث حوارين :

الحوار الأول : بين سيدنا عمر وأبى موسى الأشعرى الذي طالبه فيه بالبينة على صحة قول الرسول ﷺ : (إذا استأذن أحدكم .. إلخ) وتوعده بالعقاب إن لم يأت بالبينة .

الحوار الثانى : كان بين أبى موسى وبين مجلس الأنصار وذكر لهم قصة حواره مع عمر ﷺ ويسألهم هل منكم أحد سمعه من النبى ﷺ وكانوا جميعاً قد سمعوه فأرسلوا أحد الجالسين وهو أصغرهم ليخبر عمر أنه سمعه من النبى ﷺ .

وأمامنا عدة نقاط يجب الوقوف أمامها :

١ - هل يكون السلام قبل الاستئذان أو بعده ؟ :

يروى الإمام النووى عن العلماء ثلاثة آراء :

أولها : وهو أشهر الآراء وهو ما جاءت به السنة وبه قال المحققون يقدم السلام فيقول : السلام عليكم أ أدخل ؟ وقد شهدت لذلك روايات السنة : التسليم بأن يقول السلام عليكم أ أدخل ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا رجع .. كما فى رواية أبى داود والترمذى .

ثانيها : يقدم الاستئذان ويؤخر السلام .

---

(١) الحديث بتمامه رواه البخارى بسنده عن بشر بن سعيد، كتاب : الاستئذان، باب : التسليم والاستئذان، حاشية السندى، ج ٤ ص ٨٥، ط عدار إحياء الكتب العربية .

ثالثها : فصل فيه الماوردى قال : إن رأى المستأذن (بفتح الدال) ووقعت عيناه عليه قدم السلام، وإن لم تقع عيناه عليه قدم الاستئذان .

والصواب تقديم السلام لورود حديثين عن النبى ﷺ فى تقديم السلام [١] .

ويعلق ابن كثير على المسالة بقوله : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ إنما هى خطأ من الكتاب حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) [٢] فالمراد بالاستئناس الاستئذان على حد هذه الرواية التى ذكرها ابن كثير، وفسر البيضاوى يستأنسوا يستأذنوا فيقول : (حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام إذا آنس الشيء أبصره) [٣] .

٢ - حكم من أستأذن ثلاثا فلم يؤذن له وظن أنه لا يسمعه :

فى هذه المسألة يذكر النووى فى شرحه للحديث ثلاثة آراء :

أولها : وهو الأشهر:أنه ينصرف ولا يعيد الاستئذان، وقد أستند أصحاب هذا الرأى إلى ما روى عن النبى ﷺ : (فلم يؤذن له فليرجع) .

ثانيها : أنه يزيد فى الاستئذان ويكرر بعد الثلاث، وبنى أصحاب هذا الرأى ذلك على أنه علم أو ظن انه سمعه فلم يأذن له .

ثالثها : يرى أصحاب هذا الراى إن كان بلفظ الاستئذان : (أ أدخل) لم يعده وإن كان بغير هذا اللفظ أعاده) [٤] .

ويذكر ابن حجر خلافاً فى الرأى الأخير عن المازرى، فيقول : (وقال المازرى: اختلفوا فيما إذا ظن أنه لم يسمع هل يزيد على الثلاث ؟ فقيل : لا، وقيل

(١) انظر : مسلم على النووى، ج ٤ ص ٨٦٠ بتصرف خفيف .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٣٧٨، ط الحلبى .
(٣) تفسير البيضاوى، ج ٢ ص ١٢٠، ط دار الكتب العلمية .
(٤) مسلم بشرح النووى، ج ٤ ص ٨٦٠ .

: نعم، وقيل : إذا كان الاستئذان بلفظ السلام لم يزد وإذا كان بغير لفظ السلام زاد) [١] .ويلاحظ التقارب بين رأى النووى ورأى ابن حجر .

٢ - حكم خبر الواحد فى الرواية :

فى إخبار أبو موسى ﷺ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بأن رسول الله ﷺ قال : (إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع) طلب منه عمر ﷺ البينة والدليل على أن رسول الله ﷺ قال ذلك، وهذا ظاهرة أن عمر لم يقبل رواية أبى موسى عن رسول الله .

وقد تعلق قوم بهذا الحديث وعدم قبول عمر لما رواه أبو موسى واعتبروا ذلك دليلاً على رد خبر الواحد، ويعلق النووى على هذا الرأى بأنه باطل .

أما أصحاب الرأى المقابل فهم مجمعون على الاحتجاج بخر الواحد، ود' ـل العمل به من فعل رسول الله ﷺ والصحابة والخلفاء الراشدين أكثر من الحصر .

وقول عمر لأبى موسى : أقم عليه البينة فليسد باب التقول على رسول الله ﷺ بغير تثبت أو تدقيق فى الخبر المروى ويعلق ابن حجر على تلك الرواية، يقول : (وفى رواية لمسلم من طريق طلحة بن يحيى .. فقال عمر : إن وجد بينة تجدوه عند المنبر عشية وغن لم يجد بينة فلن تجدوه، فلما أن جاء بالعشى وجده، قال : يا أبا موسى ما تقول ؟ أقد وجدت ؟ قال : نعم، أبى بن كعب قال : عدل، قال يا أبا الطفيل [٢] وفى لفظ يا أبا المنذر [٣] ما يقول هذا ؟ قال : سمعت رسول

---

(١) فتح البارى، بشرح صحيح البخارى، ابن حجر العسقلانى، ج ٢٣ ص ٣١ .

(٢) الطفيل بن أبى بن كعب الأنصارى الخزرجى، والمخاطب هو أبى بن كعب أبو الطفيل. وهو من الطبقة الثانية ولد فى عهد النبى ﷺ .

(٣) المنذر بن أبى أسيد الساعدى الأنصارى ولد فى عهد النبى ﷺ فسماه فعد من الصحابة .

الله ﷺ يقـــول ذلك يا ابن الخطاب فلا تكون عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ، قال : سبحان الله، أنا سمعت شيئاً فأحببت أن أتثبت) [١] .

فـــأمير المؤمنين عمر ﷺ لم يشك فى رواية أبو موسى وإنما أراد أن يكون معـــه شاهد آخر ليطمئن ويتثبت من الرواية، ويقول النووى : (وأما قول عمر لأبى موســـى أقم عليه البينة فليس معناه رد خبر الواحد من حيث هو خبر واحد ولكـــن خاف عمر مسارعة الناس إلى القول عن النبى ﷺ حتى يتقول عليه بعض المبـــتدعين أو الكاذبين أو المنافقين ونحوهم ما لم يقل وأن كل من وقعت له قضية وضع فيها حديثاً على النبى ﷺ فأراد سد الباب خوفاً من غير أبى موسى لا شكاً فى روايـــة أبى موسى فإنه عند عمر أجل من أن يظن به أن يحدث عن النبى ﷺ ما لم يقل به أراد زجر غيره بطريقه) [٢] .

جـ - الاستئذان من أجل البصر :

هـــذا هو سبب مشروعية الاستئذان لأن المستأذن لو دخل بغير أذن لرأى بعـــض ما يكره من يدخل إليه (صاحب المنزل) أن يطلع عليه الداخل بلا أذن، وفى روايـــة أبى داود والتـــرمذى من حديث ثوبان رفعه قال : **(لا يحل لامرىء مسلم أن ينظر إلى جوف بيت حتى يستأذن فإن فعل ذلك فقد دخل)** [٣] وأخرج البخارى عن عمر ﷺ من قوله : **(مـــن ملأ عينه من قاع بيت قبل أن يؤذن له فقد فسق)** [٤] وأخرج أبو داود من حديث ابن عباس: **(كان الناس ليس لبيوتهم**

---

(١) فتح البارى، ج ٢٣ ص ٣٣، ط الكليات الأزهرية .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم، الاستئذان، ج ٤ ص ٨٦٠، ط الشعب .

(٣) رواه التـــرمذى عن ثوبان، ص ١٨١، دار التراث ، بدون سنة طبع، ورواه الإمام أحمد عن ثوبان فى مسنده، ج ٦ ص ٢٨٠، ط مؤسسة قرطبة، القاهرة .

(٤) رواه البخارى عن عمر، ج ١١ ص ٢٤، ط دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـــ .

ستور فأمرهم الله بالاستئذان ثم جاء الله بالخير فلم أر أحداً يعمل ذلك) ويقول ابن عبد البر : أظنهم قد اكتفوا بقرع الباب) [١] .

عدم استقبال الباب عند الاستئذان :

(يجب على المستأذن أن يقف فى أحد ركنى الباب يميناً أو شمالاً ، حتى لا يفاجأ به أهل الدار فعند استقباله الباب ربما وقعت عيناه على عورة من العورات كأن تكون هناك امرأة عارية متخففة من بعض ثيابها، أو يكون صاحب الدار فى وضع خاص مع زوجته وأولاده، لذلك ينبغى عدم استقبال الباب عند السلام أو الاستئذان فربما يكون أهل المترل فى حالة لا تسمح لهم باستقبال أحد) وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ أى تأنسون فيهم الاستعداد للاستقبال واللقاء .

يقول قتادة : (حتى تستأنسوا هو الاستئذان ثلاثاً فمن لم يؤذن له فليرجع، أما الأولى فليسمع الحى، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا، ولا تقفن على باب قوم ردوك عن باهم، فإن للناس حاجات ولهم أشغال والله أدنى بالعذر، وقال مقاتل بن حيان : كان الرجل فى الجاهلية إذا لقى صاحبه قال حييت صباحاً وحييت مساءً ولا يسلم عليه .. وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول : قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله فى ستر وعفه وجعله نقياً نزهاً من الدنس، وفى قول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ يعنى الاستئذان أفضل وخير للمستأذن وصاحب المترل الدخول عليه من الدخول بغتة بلا استئذان) [٢] .

---

(١) انظر : فتح البارى، ابن حجر، ج ٢٣ ص ٢٩، ط الكليات الأزهرية .

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٢٨١، ط الحلبى .

متى يجوز الدخول بلا استئذان ؟

(الأصل في دخول الدور هو الاستئذان والسلام، ولكن إذا عرض أمر خطير لحق بالدار كاشتعال حريق بها أو أغرقتها المياه، أو وجد بها منكر من المنكرات وأريد الدخول إلى مرتكبي المنكر لتذكيرهم أو وعظهم أو لتغيير المنكر باليد أو ما شابه ذلك .. وعلى سبيل الإجمال أنه يجوز الدخول بلا استئذان في حالة الكوارث التي تتطلب الإغاثة والعون والمساعدة الفورية والعاجلة) [١] والأماكن التي ليس بها سكان كالربط والحوانيت وأماكن الإيواء من الحر والبر وإيواء المتعة سواء أكان الأذن بدخولها عرفياً أو قولياً .

حكم الاستئذان على المحارم :

(وهو من النساء والرجال الذي يحرم التزوج به لرحمه وقرابته، وما حرم الله تعالى) [٢] فالمحارم من يحرم الزواج منهن وقد ذكرهن الله ﷻ في آية النساء حيث قال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٣] فالاستئذان في الدخول عليهم أمر واجب مشروع على كل أحد لئلا تكون منكشفة العورة فإن الداخل إذا لم يستأذن رأى ما يكره

---

(١) انظر : تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٢١، ط دار الكتب العلمية .

(٢) المعجم الوسيط ، ج ١ ص ١٦٩ .

(٣) سورة النساء، الآية (٢٣) .

ويشهد لذلك ما رواه البخارى فى الأدب المفرد : (جاء رجل إلى ابن مسعود فقال استأذن على أمى ؟ فقال : ما على كل أحيانها تريدان تراها) ومن طريق مسلم بن نذير سأل رجل حذيفة : (استأذن على أمى ؟ قال : إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره) وسئل ابن عباس ﷺ : (استأذن على أختى ؟ قال : نعم، قال عطاء وهو السائل : إنها فى حجرى، قال : أتحب أن تراها عريانة ؟) .

ويعلق ابن حجر على هذه الروايات بقوله : (وأسانيد هذه الآثار كلها صحيحة)[1] .

ويذكر ابن كثير عن ابن مسعود قال : (عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم ..) ويسوق الأثر الذي يسأل فيه عطاء عن دخوله على أخته بلا استئذان .. ويكمل (قلت أستأذن على أخواتى أيتام فى حجرى معى فى بيت واحد ؟ قال : نعم، فردَّدت عليه ليرخص لى فأبى فقال : أتحب أن تراها عريانة ؟ قلت : لا، قال : فاستأذن فراجعته أيضاً، فقال : أتحب أن تطيع الله، قال : نعم ، قال فاستأذن ..) .

ويروى عن طاووس قال : (ما من امرأة أكره أن أرى عورتها من ذات محرم وكان يشدد فى ذلك ..)[2] . . وعندئذ نخلص إلى حقيقة هامة وهى وجوب الاستئذان على المحارم لأنها قد تكون على هيئة غير مرضية ولا مقبولة فترى ما تكره ولا تحب أن تراه هذا من جانب، ومن جانب آخر أن مفاجأتك إياها بالدخول عليها بغتة وهى على غير ما يرام، أو فى حالة تحرجها نفسياً، وتجرح مشاعرها فهناك كثير من الأمور لا تحب النساء أن يراها الرجال حتى المحارم، ولن الإسلام يراعى المشاعر النفسية ويحفظ العورات ويصونها من الانكشاف فقد شرع

---

(١) انظر : فتح البارى، ج ٢٣ ص ٢٩ .

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٢٨٠ .

الاستئذان عموماً لكل من يريد دخول بيت غير بيته، وبصفة خاصة شدد على الاستئذان عند إرادة دخوله على محارمه بمنزله وبين الرسول ﷺ عدم جواز انكشاف العورة على الحمو وهو أبو الزوج عندما قال ﷺ : (**إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحَمْوَ ، قال الحموُ الموت**) فزوجة ابنه لا تحل له فهى من ضمن محرمات النكاح ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ وهذا كله حفظ لعفة المرأة والرجل وهذه التشريعات هى التى تميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات .

الهدى النبوى وصلاح المجتمع :

هـــذه التوجـــيهات النبوية السامية والإرشادات العالية التى ترقى ب من يتـــبعها تعتـــبر صيانة للمجتمع من الانحراف وفوضى دخول البيوت بلا استئذان ليـــباغت أهلـــها ويوقعهم فى الحرج حيث يفاجأون بوجوده بينهم وربما فى الأعم الغالـــب يكونون فى حالة لا تسمح لهم باستقبال أى غريب، فقد يكون زوج مع زوجـــته فى حالة مداعبة أو استلطاف أو جماع، وربما يكون الرجل وحده فى حالة من اللباس لا يرغب أن يراه عليها أحد إذ أن الشخص يعود إلى بيته بعد يوم عمل شـــاق طويل مرهقاً متعباً فيتخفف من ملابس العمل وربما يجلس بملابسه الداخلية على حريته مضطجعاً أو مستلقياً واضعاً ساق على ساق وربما تكون زوجته بجواره مـــتخففة هى الأخرى من بعض ثيابها فيجدون هذا الشخص الغريب ماثلاً أمامهما قـــائلا : (أنـــا دخلت) ولنا أن نتخيل مدى الحرج والفزع الذي يلم بالزوجين المتخففين من الثياب .

ويأتى الإسلام ليشدد على ضرورة الاستئذان، وعدم التطلع من ثقب فى الـــباب إلى من بداخل الدار حتى توعد النبى ﷺ من نظر من ثقب الباب إليه وهو يسوى شعره بأنه لو علم بذلك لطعنه بالمدرى (المشط) فى عينيه، لن هذا تلصص

وتجسس فإن التجسُس محاولة معرفة ما خفى من عورات أو غيرها، ويوجب الإسلام فى هدى النبى ﷺ الاستئذان بلا إلحاح يستأذن ويسلم ثلاثاً بقوله : (السلام عليكم أ أدخل ؟) يقولها بصوت مسموع حتى يسمعه من بداخل الدار ويأذن أو لا يأذن له .. فإن أذن له دخل، وإن لم يؤذن له فليرجع بلا غضب على صاحب الدار الذي لم يأذن له، وليلتمس له العذر، وقد نسيت كثير من الأسر هذا الهدى النبوى ، فالدخول بلا استئذان وتحدث اللقاءات بين شباب الأسرة وشباها، وشيوخها وشيخاها الدخول إلى الدور بلا أذن أصبح عادة اجتماعية بذيئة تعلل بالانفتاح الاجتماعى والحرية الاجتماعية، وشيوع الاختلاط بين الرجال والنساء والفتيان والفتيات إذ يعتبرون ذلك من الحرية الشخصية فى التعامل الاجتماعى، وكم من الجرائم ترتكب والحرمات تنتهك تحت دعوى الحرية الاجتماعية ومنها عدم الاستئذان، وقد كان الإسلام دقيقاً عندما يبين لنا الهدى النبوى أنه لا يجوز الدخول على المحارم بلا استئذان حفظاً لمشاعرهن من أن يرى الداخل إليها ما لا تريد أن تطلع .

ولا يغيب عنا أن جميع بدن المرأة عورة، فالذين أهملوا الاستئذان وغاب عن مجتمعهم هذا الأدب لا يهتمون بستر العورة أو كشفها فى كثير من الأحيان فى إبراز ما يجب إخفاؤه للرائين لجذهم إليها لتدلل عليهم .

حكم استئذان الأطفال على ذويهم :

حدد الإسلام ضوابط لاستئذان الأطفال فى الدخول على ذويهم ليتم تربية الأبناء على أساسها وهى كما أوضحت وبينت لنا سورة النور [1] يبين لنا أن الأطفال يجب عليهم الاستئذان على آبائهم وذويهم فى ثلاثة أحوال :

الأول : من قبل صلاة الفجر لأن الناس وقتئذ يكونون نياماً فى فرشهم .

---

(١) آيتا (٥٨، ٥٩) .

الثانى : وقــــت الظهيرة (وقت القيلولة) لأن الإنسان قد يضع ثيابه فى تلك الحال هو وأهله .

الـثالث : مـــن بعــــدد صــــلاة العشاء لأنه وقت نوم وراحة، وقد شرع الاستئذان فى هذه الحالات وفى تلك الأوقات الثلاثة لما يخشى أن يكون الرجل أو المرأة فى حالة لا يجب أن يطلع عليها أحد من أولاده الصغار .

أمـــا إذا بلــــغ الطفل الحلم فيجب عليه الاستئذان كغيره من الكبار كما اتـــضح ذلك جلياً فى قول الله تعالى : (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كمـــا اســـتأذن الـــذين من قبله ..) فتسرى عليه جميع الأحكام السابق بيانها فى الاستئذان ويجب عليهم الاستئذان فى جميع الأحوال) [١] .

ويذكـــر الشيخ/ حسن أيوب : (أن فى وجوب الاستئذان على الأطفال قبل البلوغ وبعده دليلاً على أن الأقارب الكبار يستأذن بعضهم على بعض سواء أكـــان القريب أباً أم أماً أم أخاً أم أختاً أم غيرهم،كما يجب استئذان الخادم ويراد بـــه الخـــادم المملوك لأنه يعامل معاملة المحرم، أما خدم اليوم فهم أجانب من أهل البيت بكل ما فى هذه الكلمة من معنى، والتساهل فى أمرهم يوقع فى ذنوب كثيرة ومصائب كبيرة سوءا أكان الخادم ذكراً أم أنثى) [٢] .

وتزخر صحف الحوادث وصفحاتها فى سائر الجرائد بجرائم بشعة بين الخدم والمخدومين بسبب عدم مراعاة هذا الأدب الإسلامى فى تشريع الاستئذان .

---

(١) انظر : تربية الأولاد فى الإسلام، عبد الله علوان،ج١ ص ٤٥، ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط ثالثة، ١٩٨١م .

(٢) الـــسلوك الاجتماعى فى الإسلام، حسن أيوب، ص ٣٥٧،ط دار البحوث العلمية، ط ثانية، ١٩٧٩م.

وللاستئذان آداب يجب على المستأذن مراعاتها، وهى :

(١) أن يسلم ثم يستأذن، بأن يقول : السلام عليكم أ أدخل ؟ كما علمنا رسول الله ﷺ .

(٢) أن يعلن عن اسمه أو صفته أو كنيته، وإذا قال السلام عليكم ورد عليه صاحب الدار فليقل : فلان أ أدخل ؟ فإن أذن له دخل، وإلا رجع .

(٣) أن يستأذن ثلاث مرات لما مر من هدى النبى ﷺ (الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع) ويحسن أن تكون بين المرة الأولى والثانية، وبين الثانية والثالثة فترة فربما يكون صاحب الدار مشغولاً فى قضاء حاجة أو فى صلاة .

(٤) إذا دق الباب لا يدقه بعنف خاصة إذا كان صاحب البيت من ذوى الفضل عليه كأن يكون أباه أو أستاذه، وقد روى البخارى فى الأدب المفرد : (أن أبواب الرسول ﷺ كانت تقرع بالأصابع) وكان السلف الصالح يقرعون أبواب أشياخهم بالأظافر، وهذا يدل على المبالغة فى الاحترام والأدب .

(٥) ألا يستقبل الباب عند الاستئذان فيجب عليه أن يتحول عن باب المنزل يميناً أو يساراً لهدى النبى ﷺ فى ذلك إذ روى عنه " صلوات الله وتسليماته عليه : (أنه كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول : السلام عليكم السلام عليكم) [1] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

(٦) أن يرجع المستأذن إذا قال له صاحب الدار أرجع، وعلى المستأذن ألا يجد في ذلك عضاضة ولا حرج لأنه امتثل أمر الله في قوله : ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾ أي أطهر وأفضل لكم)[1] .

فهذا نهج الإسلام في تنظيم علاقات المجتمع ووضع ضوابط شرعية تنظم أساليب المجاملات والتحيات بين المسلمين وآداب الدخول على الآخرين وزيارتهم والتواصل معهم .

المستفاد من الحديث :

(١) وجوب الاستئذان عند دخول بيت لا يملكه الداخل وصيغته : السلام عليكم أ أدخل ؟ حرصاً على حرمات البيوت وإحراج أهلها .

(٢) إذا لم يؤذن له بالدخول يرجع بلا أي حرج أو غضاضة لنه امتثل أمر الله ﷻ .

(٣) القول بقبول خبر الواحد وهو ما عليه جمهور المحققين وما طلب عمر ﷺ البينة من أبي موسى الأشعري إلا ليتثبت من الرواية . وفيه حرص الصحابة على التوثق من روايات السنة النبوية حتى يسدوا الباب على المتقولين على رسول الله ﷺ بلا تثبت من الخبر المروى .

(٤) وجوب الاستئذان على المحارم .

(٥) عندما يكبر الطفل ويبلغ الحلم يجب عليه أن يستأذن على والديه كما يستأذن على الأجانب .

(٦) مراعاة آداب الاستئذان كما حددها لنا الإسلام ووضحتها لنا السنة العطرة .

---

(١) انظـــر : في الآداب المذكورة " كتاب تربية الأولاد "، عبد الله علوان، ص ٤٤٥، وكتاب : السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب، ص ٣٥٤ وما بعدها مع تصرف خفيف .

(٧) هذا دليل واضح وبرهان ساطع على أن الإسلام ينظم كل شئون الحياة ويرسم لنا حدود العلاقات الاجتماعية مما يجعل المجتمع المسلم متميزاً عن غيره من المجتمعات الأخرى شرقاً وغرباً .



إفشاء السلام

مدخل :

(السلام مقدمة الاستئذان)

سبق الحديث عن وجوب الاستئذان عند دخول الشخص داراً غير داره ولابد من الاستئذان ثلاث مرات، وقد قال الله تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١) وقد علم رسول الله ﷺ الداخل بدون استئذان فقال : **(قل السلام عليكم أ أدخل)** ؟ فقدم السلام أولاً وذلك لإشعار من بالداخل من أهل الدار، ثم السؤال عن إمكان الدخول من عدمه " أ أدخل " وهذا طلب الإذن بالدخول، فإن أذن له دخل وإلا رجع (٢)، ولذا فإن إفشاء السلام بين أفراد المجتمع عموماً من أفعال الخير ودعائم العلاقات الإنسانية بين أفراده، ولإفشاء السلام ورده أحكام بينتها السنة النبوية الشريفة، وفيما يلى بيان لها فى هدى رسول الله ﷺ .

من هدى السنة فى الأحكام المتعلقة بإفشاء السلام :

الحديث العاشر

صيغة السلام :

روى الإمام البخارى بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : **(خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك من بعدك، فقال : السلام عليكم، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله،**

---

(١) سورة النور، الآية (٢٧) .

(٢) راجع : أحكام الاستئذان بالمبحث السابق ص .

فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن) [١] .

الحديث الحادي العاشر

إفشاء السلام ورده من حق الطريق :

روى الإمام مسلم بسنده عن أبى طلحة قال : (كنا قعوداً بالأفنية نتحدث فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقال : ما لكم ولمجالس الصُعُدات ؟ اجتنبوا مجالس الصعدات، فقلنا إنما قعدنا لغير ما بأس قعدنا نتذاكر ونتحدث، قال : إما لا فأدوا حقها غض البصر ورد السلام وحسن الكلام) [٢] .

وفى رواية له عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : (إياكم والجلوس فى الطرقات، قالوا يا رسول الله : ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، قال رسول الله ﷺ : إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا : وما حقه ؟ قال : غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) [٣] .

الحديث الثانى عشر

إفشاء السلام من أعمال البر المؤدية إلى الجنة : روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : إن رجلاً سأل النبى ﷺ : أى الإسلام خير ؟ قال : (تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف) [٤] .

---

(١) رواه البخارى بسنده عن أبي هريرة، كتاب : الاستئذان، باب : بدء السلام، فتح البارى، ج ٢٣ ص ٦، ط مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١٩٧٨ م .

(٢)رواه مسلم بسنده عن أبي طلحة، كتاب:السلام،باب:من حق الطريق رد السلام،ج٥ ص٤،ط الشعب

(٣)رواه مسلم بسنده عن أبي سعيد، كتاب:السلام،باب:من حق الجلوس على الطريق ورد السلام،ج٥ ص٤ . ورواه البخارى عن أبي سعيد، الاستئذان، باب:قول الله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم)،ج٢٣ ص ١٣ .

(٤)رواه البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو، الاستئذان ، باب : السلام للمعرفة وغير المعرفة، ج ٢٣ص ٢٤، فتح البارى

وروى الترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) [١] .

وفى رواية لابن أبى شيبة فى مصنفه، قال ﷺ : أفشوا السلام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام) [٢] .

وفى رواية البخارى عن البراء بن عازب قال : (أمرنا رسول الله ﷺ بسبع : بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاكس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار القسم، ونهى عن الشرب فى الفضة والتختم بالذهب، وركوب المياثر وعن لبس الحرير والديباج، والقس والاستبرق) [٣] .

الحديث الثالث عشر

على من يسلم ؟

روى مـــسلم بسنده عن ثابت مولى عبد الرحمن بن زيد أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : (يسلم الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، والقليل على الكثير) [٤] .

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة، كتاب : الاستئذان، باب : ما جاء فى إفشاء السلام، ج ٥ ص ٥٢، ط الحلبى، ١٩٧٥م .، وقال حديث حسن صحيح .

(٢) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه، مكتبة الرشد، ط أولى، ١٤٠٩هـــ، تحقيق : كمال يوسف .

(٣) رواه الـــبخارى بسنده عن البراء بن عازب، كتاب : الاستئذان، باب : إفشاء السلام، فتح البارى، ج ٢٣ ص ٢٠، ورواه مسلم عن الباء ، كتاب : اللباس والزينة، باب : تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، ج ٤ ص ٧٦٦ .

(٤) رواه مسلم عن أبى هريرة، السلام، باب : تسليم الراكب على الماشى والقليل على الكثير .

وفى رواية البخارى عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : (يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير)[1] بزيادة الصغير

أ ـ المباحث اللغوية :

١ ـ إيـاكم : ضمير نصب منفصل، وهو فى الحديث بمعنى احذروا، أى احذروا الجلوس فى الطرقات .

٢ ـ بد : أى لا نستغنى عنها، والمراد لا يستغنون عن الجلوس .

٣ ـ أبيـتم : يقـال : أبى الشىء يأباه أى كرهه ولم يرضه، وفى المثل : رضى الخصمان وأبى القاضى، ومعنى : إلا إبليس أبى أى امتنع، والمراد امتنعتم .

٤ ـ فأعطـوا : جواب شرط إذا، وفعل الشرط : أبيتم، و (إذا) كلمة مبنـية علـى السكون وتستعمل إما حرفاً للمفاجأة وتختص بالدخول على الجملة الاسمـية، ويـذهب البعض إلى استعمالها اسماً وهى ظرف زمان، أو ظرف مكان للجملة التى بعدها، وتكون أداة شرط وجزاء لما يستقبل من الزمان ولا يدخل إلا علـى الجملـة الفعلية وشرطها وجوابها مرفوعان .. والمعنى إن كان لا بديل عن الجلوس بالطرقات أعطوا الطريق حقه .

٥ ـ غـض : كف وخفض، يقال غض بصره وصوته غضا، وغض من بصره ومن صوته، وغض الطرف أى خفضه استحياء وخزياً .

٦ ـ كـف : أى امتنع وانصرف عن الأمر، امتنع وانصرف عنه، ومنه كف بصره إذا ذهب البصر، وكف الأذى عن الطريق أى منعه وإزالته .

٧ ـ الأفنية : جمع فناء وهو حريم الدار ونحوها، وما كان بجانبها أو قريباً منها، وهذا المكان المتسع أمام الدار .

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة، الاستئذان، بـاب : تسليم الصغير على الكبير، فتح البـارى، ج ٢٣ ص ١٨ .

٨ ــ **الصُّعُدات** : بضم الصاد المهملة وتشديدها، وضم العين المهملة وهى الطرقات، واحدها صعيد كطريق .

٩ ــ **إما لا** : إن لم تتركوها (أى الجلوس فيها) فأدوا حقها .

١٠ ــ مــا بأس : " ما " زائدة، ويراد بالبأس الشدة فى الحرب، والحرب نفــسها والعــذاب والخوف، والحرج ويقال لا بأس فيه أى لا حرج ــ أى إرادة الشر، والمراد إنما نجلس ليس لقصد الإحراج والمسقة .

١١ ــ **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا** :" لا " فى لا تدخلوا نافية مكان ينبغى إثبات نون الرفع، ووقع فى رواية مسلم : لا تدخلون بإثبات النون، وقد حذفت النون للمجانسة والازدواج، وأن النهى قد يراد به النفى .

١٢ ــ **تقرأ السلام** : أى تلقى السلام .

١٣ ــ **تشميت العاطس** : الدعاء له بالخير والبركة، ومعناه الدعاء للعاكس أن يعيده الله إلى سمته قبل العطاس من السكون والوقار .

١٤ ــ **إفشاء السلام** : المراد نشر السلام لإحياء سنته .

١٥ ــ **إبرار القسم** : أى إجابة المقسم إلى ما أقسم عليه، وفيه إمضاء المسلم قسم أخيه إذا كان المقسم عليه خيراً .

١٦ ــ **التختم** : أى لبس خاتماً من الذهب .

١٧ ــ **المياثر** : أكثر الأقوال قبولاً فى معناها أنها كالفراش الصغير المتخذ من الحرير تحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب على البعير تحته فوق الرحل ومفردها منثرة .

١٨ ــ **الديباج** : الحرير الطبيعى وهو نوع من القماش سداه ولحمته حرير (وهى كلمة فارسية معربة) .

١٩ ــ **القس** : ثياب مضّلعة بالحرير، وقيل : ثياب من كتان مخلوط بحرير

٢٠ ــ الاستبرق : هو الديباج الغليظ، ولأنه من الحرير فهو حرام .

ب ـ الشرح والبيان :

بعد عرض نصوص الأحاديث، وأبرز المعانى والمباحث اللغوية نأتى إلى شرح النصوص وبيان الحكام من خلال المباحث التالية :

١ ـ صيغة السلام الشرعية :

يخاطبنا رب العزة بصفة الإيمان به سبحانه حيث ينادينا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ فأمرنا بتقديم السلام قبل الاستئذان وعندما يأنس المستأذن فى صاحب الدار الاستعداد لاستقباله مما يحفظ للبيوت حرمتها ويسد أبواب الفتن وقطع الطريق على الشيطان .

وللسلام صيغ مقبولة : أقلها " السلام عليكم " وأكثرها " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته "، وإذا كان السلام واجباً عند الاستئذان فى دخول البيوت، فإنه إفشاءه ونشره بصفة عامة سنة بين المسلمين ورده واجب، والله تعالى يقول : (وإذا حيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)، ويرى الجمهور فى تفسير قول الله تعالى (وإذا حيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) أن ذلك فى السلام ورده ويدل على وجوب الرد إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه " ورحمة الله وبركاته " ومنه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : (السلام عليك، فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته) [١] .

وفى الحديث : أن رسول الله لما سلم على النفر من الملائكة قال : السلام عليكم، فقالوا فى الرد : السلام عليك ورحمة الله، فزادوه " ورحمة الله " فكان رد التحية بأحسن منها .

---

(١) تفسير البيضاوى، ج ١ ص ٢٢٨، ط دار الكتب العلمية .

وإذا كان آدم عليه السلام قال في تحيته : السلام عليكم، فمن أين أتي بهذه الصيغة، ينقل ابن حجر في الفتح قول ابن بطال : (يحتمل أن يكون الله علمه كيفية ذلك تنصصاً، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله " فسلم " ويرى ابن حجر أنه يحتمل أن يكون الله قد ألهمه ذلك ويؤيده — ما روى — في باب حمد العاكس : أن آدم لما خلقه الله عطس فألهمه الله أن قال : الحمد لله .. فلعله ألهمه أيضاً صيغة السلام ..) [1] .

فصيغة السلام التي ينبغي أن يلتزمها المسلم هي " السلام عليكم " أو " سلام عليكم " أو " السلام عليكم ورحمة الله " أو " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ينطقها ويتلفظ بها لسانه، وأن ينأى بنفسه عن التحيات الوافدة والدخيلة على ديننا، مثل : صباح الخير، و مساء الخير، ونهارك سعيد، أو ليلتك سعيدة، وأحياناً ينطقها بغير اللغة العربية كالفرنسية أو الإنجليزية إذ تعتبر كثير من طبقات المجتمع أن التخلي عن تحية الإسلام وإحلال التحايا الوافدة محلها مظهر من مظاهر الرقي والتقدم والأرستقراطية، مع أن التحية التي أمرنا بها الله تحية السلام وصفها رب العزة بأنها مباركة طيبة، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [2] .

والمعنى : تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه، وهي مباركة لأنها يرجى بها زيادة الخير والثواب، وطيبة لأنها تطيب بها نفس المستمع) [3] فتحية السلام وإفشاؤه من مميزات المجتمع المسلم وخصائصه، ومن قوام علاقاته وروابطه،

---

(١) انظر : فتح البارى، لابن حجر العسقلانى، ج ٢٣ ص٤، ط الكليات الأزهرية، ١٩٧٨م .

(٢) سورة النور، من آية (٦١) .

(٣) انظر : تفسير البيضاوى بتصرف يسير ، ج ٢ ص ١٣٢ .

والمتخلى عن هذا الهدى النبوى متخل عن جزء غير يسير من شخصيته التى ميزها الإسلام عن غيرها .

٢ ـ إفشاء السلام ورده من حقوق الطريق :

(كـنا قعوداً بالأفنية نتحدث فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا فقال : ما لكـم ولمجالس الصُعُدات ؟ اجتنبوا مجالس الصعدات، فقلنا إنما قعدنا لغير ما بـأس قعدنا نتذاكر ونتحدث، قال : إما لا فأدوا حقها غض البصر ورد السلام وحسن الكلام) .

فى هذا التوجيه النبوى الرائع يبين لنا رسول الله ﷺ أموراً هامة فى بناء المجتمع وغقامة لبناته فى العلاقات الاجتماعية، ذلك أنه لما وجد بعض الصحابة يجلسون بالصعدات وهى الطرقات التى يمر بها الرائح والغادى يقف أمام أصحابه متسائلاً عن سبب جلوسهم فى طريق المارة، حيث إنهم يجلسون فى الأفنية وهى الأماكن المتسعة أمام الدور أو كانت قريته منها ولما كان من المارة الغاديات والرائحات من النساء لقضاء حوائجهن أنكر النبى ﷺ هذه الجلسات بتلكم الأماكن، فأجابوه : إننا نجلس لنتذاكر ونذكر الله ونتحدث الأحاديث المباحة، ولا نجلس للإيذاء أو لاعتراض المارة، فرد عليهم ﷺ بالنصح والتوجيه والإرشاد : إن لم تتركوها وتقومـوا عنها فأدوا حقهـا، والضمير يعود على " الصعـدات " أو " الطريق " أو " المجالس " والراجح من ذلك أنها تعود على " الصعدات " وهى الأفنية التى كانوا يجلسـون بها، خاصـة وأن الضمير قد جـاء بعد نهى النبى ﷺ (اجتنبوا مجالس الصعدات، فقلنا إنما قعدنا .. فقال : إما لا أى أن ل م تتركوا مجالس الصعدات فأدوا حقها أى المجالس حيث إنها بالطريق والحقوق المذكورة : غض البصر عن المحرمات ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [1] .

---

(١) سورة النور، من الآية (٣٠) .

ورد السلام أى إلقاءه على الجالسين، وحسن الكلام ويدخل فيه كلامهم مع بعضهم البعض ولا يكون فيه كذب أو غيبة ولا نميمة ولا كلام ينقض المروءة، ومن الكلام الحسن كلامهم للمار من رد السلام ولطف الجواب وهدايته إلى الطريق .

وفى مسلم عن أبى سعيد الخدرى : ذكر غض البصر ورد السلام وترك حسن الكلام فقال : (.. غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) [١] .

فزاد على رواية أبو طلحة : كف الأذى، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والمراد بكف الأذى إزالته عن الطريق ومن باب أولى عدم إلقائه إذ أن إماطة الأذى عن الطريق صدقه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من الكلام الحسن الواجب شرعاً وهو حسن الكلام المأمور به فى حديث أبى طلحة .

وعلة النهى عن الجلوس على الطرقات ما أشار إليه الحديثٌ وهى التعرض للفتن والإثم بمرور النساء وغيرهن، وقد يمتد النظر إليهن أو الفكر فيهن أو يظن سوءاً فيهن أو فى غيرهن من المارين، وأذى الناس باحتقار من يمر، ويدخل فى الأذى أن يضيق الطريق على المارين أو يمتنع النساء من الخروج بأشغالهن بسبب قعود القاعدين فى الطريق، أو يجلس بقرب باب دار إنسان يتأذى بذلك وحيث يكشف من أحوال الناس شيئاً يكرهونه) [٢] .

ويضيف ابن حجر : (ويجب على المسلم الأمر والنهى عند ذلك فإن ترك ذلك " أى الأمر والنهى " فقد تعرض للمعصية .. والمرء مأمور بأن لا يتعرض

---

(١) الحديث بتمامه رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد (سبق تخريجه) .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم، ج ٥ ص ٤، بتصرف خفيف .

للفتن وإلزام نفسه ما لعله لا يقوى عليه) [1] . ونهى الرسول ﷺ من الجلوس بالطرقات عندما قال للجالسين : (اجتنبوا مجالس الصعدات) كما في رواية أبي طلحة، وقال : (إياكم والجلوس بالطرقات) كما في رواية أبي سعيد، وإجابة الصحابة في الروايتين : (ما لنا بد من مجالسنا) و (إنما قعدنا لغير ما بأس) ورضا النبي ﷺ بإجابتهم غير أنه أرشدهم إلى إعطاء الطريق حقه، قال عياض : (فيه دليل على أن أمره لهم لم يكن للوجوب وإنما كان على طريق الترغيب والأولى، إذ لو فهموا الوجوب لم يراجعوه هذه المراجعة .... ويقول ابن حجر في الفتح : (ويحتمل أن يكونوا قد رجوا وقوع النسخ تخفيفاً لما شكوا من الحاجة إلى ذلك ..) [2] .ووافق القسطلاني القاضي عياض في أن الأمر ليس للوجوب .

فالأولى اجتناب الجلوس في الطرقات وتضيقها على المارة، وإذا كان ذلك مباحاً مع القيام بأداء حق الطريق فذلك لن الديار كانت ضيقة لا تتسع لجلوس جماعة للتحدث والذكر، أما وإن البيوت قد اتسعت وفي كل مسكن " صالة " أو فناء أو حجرة معدة للجلوس فالأفضل والأولى شرعاً عدم جواز الجلوس بالطرقات خاصة وأن الطرق قد ضاقت بالمارة وازدحمت بهم وبوسائل المواصلات وهذا مما يسبب حرجاً شديداً للمارين بها رجالاً كانوا أم نساء .

٣ - إفشاء السلام من أعمال البر التي تدخل الجنة :

في رواية البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال : إن رجلاً سأل النبي ﷺ : أي الإسلام خير ؟ قال : (تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف) .

---

(١) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج ٢٣ ص ١٣ بتصرف .

(٢) انظر : فتح الباري، ج ٢٣ ص ١٣ بتصرف خفيف .

ففى هذه الرواية يذكر رسول الله ﷺ أن إلقاء السلام على المعرفة وعلى غير المعرفة من فضائل أعمال البر والتقوى وعندما يسأله رجل عن أفضل عمل ف الإسلام يجبه المصطفى ﷺ : (تطعم الطعام) أى تتصدق بإطعام الجائع بالطعام أو بقيمته، ولا يخفى ما فى هذا العمل من إذهاب ألم الجوع من الجائع، وإدخال السرور على نفسه وإحلال الحب فى قلبه، فإن الإطعام له لذة خاصة لدى الجائع الذى شبع، وتحل الكلمة الطيبة فى اللذة محل الطعام، وإفشاء السلام كلمة طيبة تؤدى إلى السرور والحب والقرب بين المسلّم والملقى عليه السلام ويشهد لهذا المعنى ما رواه البخارى عن النبى ﷺ أنه قال : (اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجد فبكلمة طيبة) [١] وذلك ما تحدثه الصدقة من تطبيب نفس المتصدَّق عليه تحدثه الكلمة الطيبة .

وقوله أى الإسلام خير : أى أعمال الإسلام أفضل ؟ فلفظ " خ ـ " اسم تفضيل على غير قياس [٢] .

وفى رواية البخارى عن البراء بن عازب يبين لنا البراء ما امر به النبى ﷺ من أعمال البر بقوله : (أمرنا رسول الله ﷺ بسبع : بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار القسم .. الحديث) .

فوضع " إفشاء السلام " ونشره فى المجتمع فى سياق أعمال الخير وهى عيادة المريض وزيارته ومواساته فى مرضه والدعاء له وهذا مما يخفف آلامه ويذهب شعوره باليأس من الشفاء لطول المرض وذلك عندما تذكر أمثلة مما كانوا فى مثل

---

(١) رواه البخارى بسنده عن عدى بن حاتم، كتاب : الأدب، باب : طيب الكلام فى صحيحه بحاشية السندى، ج ٤ ص ٥٤، ط دار إحياء الكتب العربية .

(٢) انظر : المعجم الوسيط، ج ١ ص ٢٦٤ .

حاله وقد من الله عليهم بالشفاء، ومن فضائل الأعمال اتباع الجنازة وتشييعها لأن ذلـــك مـــن حـــق الأخوة فى الإسلام، والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتـــبار، وكـــان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال : اغدوا فإنا رائحون، وخـــرج مالـــك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكى ويقول : والله لا تقر عينى حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لا أعلم مادمت حياً) [١] .

وتشييع الجنازة واتباعها بجانب أنه عبرة وعظة للمشيع فإن له جانباً نفسياً لدى أهل المشيَّع (الميت) وهو الشعور بالمشاركة الوجدانية فى مصابهم بفقد الميت الـــذى هـــو من ذويهم، ومواساتهم حق لهم أوجبه الإسلام وأمر به المصطفى ﷺ، ومن أعمال البر التى أمر بها الرسول الكريم تشميت العاطس يعنى الدعاء له إذ أن العطـــاس (هـــو اندفاع الهواء من الأنف بعنف لعارض وسمع له صوت) [٢] وهو حـــركة تـــسبب خفـــة فى الدماغ وصفاء فى القوى الإدراكية فيحمل صاحبه على الطاعـــة، والعطاس المحمود هو الذى لا ينشأ عن زكام) [٣] وقد دل الحديث على أن تشميت العاطس حق له، بخلاف التثاؤب الذى هو مانع لصاحبه عن النشاط فى الطاعة ويوجد الغفلة .

ومـــن الأعمال الصالحة التى أمرنا بها رسول الله ﷺ نصر الضعيف وهى معاونته وعدم خذله، وخذله هو ترك إعانته أو نصرته، وإذا استعان به فى دفع ظالم لزمته إعانته ونصرته تقوية له ومساعدة وعوناً حتى يرد الظلم عن نفسه .

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين، لأبى حامد الغزالى، ج ٢ ص ٢٨٨، ط دار التقوى، ط أولى، عام ٢٠٠٠م .

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٣) من تحفة الأحوذى، ج ٨ ص ٢١، نقلاً عن كتاب : السلوك الاجتماعى فى الإسلام، حسن أيوب، ص ٣٦٠ .

ويدخل فى هذه الأعمال عون المظلوم بمعنى المساعدة والإعانة على رد الظلم عن نفسه، لقول النبى ﷺ : **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا : ننصره مظلوماً، فكيف ظالماً ؟ قال أن ترده عن ظلمه)** (١) أو "تكفه عن ظلمه" فالرد من الظلم ومنع الأخ المسلم عن أن يظلم نوع من الناصرة والإعانة على النفس والشيطان (٢) .

ومن الأعمال الصالحة التى أمرنا بها النبى ﷺ إبرار القسم بمعنى إبرار (٣) المقسم (الحالف) وعدم إيقاعه فى اليمين بل تجب عليه موافقته .

وذلك إذا حلف مسلم على أخيه أن يفعل شيئاً ولا يفعله فإنه يسن للمسلم إلا يوقع أخاه فى الحنث (٤) بل يوافقه وينفذ له يمينه، وعدم إيقاع المسلم الحالف فى يمينه وجعله يحنث يعتبر من الأعمال الصالحة للحيلولة بين أخيه والحرج بسبب عدم إبرار قسمه ..

وفى رواية مسلم عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : **(خمس جب للمسلم على أخيه : رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الدعوة وعيادة المريض واتباع الجنائز)** (٥) وروى من طريق أخرى أن رســـول الله ﷺ قال : **(حق المسلم على المسلم ست، قيل : ما هن يا رسول الله ؟ ، إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله**

---

(١) سبق تخريج الحديث بالفصل الأول من هذا الكتاب .

(٢) راجع تفصيل الموضوع فى جزئية لغير الأخ ظالماً أو مظلوماً بالفصل الأول .

(٣) يقـــال : بر اليمين أى صدق وإبرار القسم أى تصديقه وإمضاء ما أقسم عليه وبر الله قسمه أى أجابه إلى ما اقسم عليه. انظر : المعجم الوسيط، ج ١ ص ٤٨ .

(٤) يقال حنث فى يمينه حنثاً أى لم يبر بها .

(٥) رواه مسلم بسنده عن ابن المسيب عن أبى هريرة، بـــاب : حق المسم ، كتـــاب : السلام، ج ٥ ص ٦ .

فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتّبعه) [١] فنجد أن الرواية الأولى زادت إجابة الدعوة، والثانية : وإذا استنصحك فانصح له، ويقول ابن حجر فى تعليقه على حديث : أمرنا رسول الله سبع، الذى رواه البخارى عن البراء بن عازب : وهذا الموضع مما ذكر فيه سبعاً مأمورات، وسبعاً منهيات، والمراد منه هنا " إفشاء السلام " .

وأما نصر الضعيف هنا فى حديث البراء فقد وقع بدله " إجابة الداعى " وقال الكرمانى : نصر الضعيف من جملة إجابة الداعى لأنه قد يكوقن ضعيفاً وإجابته نصره .

وأما إفشاء السلام : فهو بمعنى نشره وإشاعته فى المجتمع وهو من الأعمال التى تقرب بين الأفراد والأسر، وتقوى أوصار المحبة والألفة بين الأفراد والجماعات ولذلك كان سمة مميزة للمجتمع المسلم على غيره من المجتمعات غير الإسلامية .

ولذا فقد أكثر رسول الله ﷺ من الوصية به والدعوة إليه مبيناً أنه طريق إلى الجنة، من ذلك ما رواه الترمذى عن أبى هريرة : قال، قال رسول الله ﷺ : **(والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)** [٢] قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وفى رواية ابن أبى شيبة فى مصنفه ذكر إفشاء السلام فى صدر أعمال الخير ومقدمة الأعمال الفاضلة فقال : قال رسول الله ﷺ : **(أفشوا السلام، وصلوا**

---

(١) رواه مسلم بسنده عن العلاء عن ابن عن أبى هريرة، باب : حق المسلم، ك : السلام، ج ٥ ص ٦ .

(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة، كتاب : الاستئذان، باب : ما جاء فى إفشاء السلام، ج ٥ ص ٥٢، ط الحلبة، ثانية، ١٩٧٥م .

الأرحام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) [١] فأمر بإفشاء السلام وصلة الأرحام وهى واجبة وتطلق لفظة الرحم على الأقارب وهم كل من بينه وبين الآخر صلة أو قرابة، وقطيعة الرحم معصية كبيرة باتفاق جميع العلماء وتكون الصلة بالزيارة والمال، وتكون بعيادة المريض وإجابة الدعوة، وقال أحد العلماء : **(لا يلزم من نفى الصلة ثبوت القطع فهلا ثلاث درجات : الأولى : واصل وهو الذى يصل من قطعه ويعطى من منعه، الثانية : مكافىء وهو الذى يصل من يصله ويعطى من يعطيه، الثالثة : قاطع وهو الذى لا يصل ولا يوصل، أو يوصل ويقطع)** [٢] .

ولذا فإن صلة الرحم فى درجتيها الأولى والثانية من أعمال الخير وأسباب البركة لقول النبى ﷺ : **(من أحب أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه)** [٣] والمراد البركة فى الرزق، والزيادة فى العمر بزيادة العمل الصالح فيه، وأما إطعام الطعام والمراد به الصدقة والإنفاق فى سبيل الله، قال تعالى ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [٤] أى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير، أو لن تنالوا رضى الله وبره الذى هو الرحمة والجنة حتى تنفقوا مما تحبون من المال أو ما يعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة

---

(١) رواه الشيخان .

(٢) انظر : السلوك الاجتماعى فى الإسلام، حسن أيوب، بتصرف خفيف .

(٣) رواه الشيخان عن أنس ﷺ .

(٤) سورة آل عمران ، من الآية (٩٢) .



الله [1] وقال أيضاً فى وصف الأبرار الصالحين: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [2]

قيل : على حب الله، أو حب الطعام غير طالبين للأجر أو طامعين فى مقابل للإطعام، غنما يطلبون بعملهم هذا رضا الله والجنة .

وأما صلاة الليل : فغنها عبادة لله خالصة فى وقت هادىء لا ضجيج فيه ولا صخب، حيث ينام الناس ويغطون فى نوم عميق يقوم العبد ليتوضأ ثم يصلى ما استطاع من الركعات الخاشعة، بقلب حاضر يقظ ليس بساه ولا غافل يعقل كل صلاته. ووقت أداء هذه الصلاة غالباً هو وقت السحر، فقد قال تعالى وصف المحسنين: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [3] والمراد بذلك .. أنهم يهجعون فى طائفة من الليل، أو يهجعون عجوعاً قليلاً، ومع قلة نومهم وكثرة تهجدهم إذا اسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم [4] .

وصلاتهم بالليل والناس نيام فلا يراهم أحد ولا يطلع على عبادتهم إلا الله ففيه الإخلاص لله،وعدم رياء الناس فعبادتهم بينهم وبين ربهم وخالقهم سبحانه وتعالى،ولذا فإن الله تعالى قد صدر الحديث عنهم ببيان ثوابهم الجزيل وأجرهم الكبير حيث قال : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [5]وقوله : ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ إلخ

---

(١) تفسير البيضاوى، ج ١ ص ١٧٠ .

(٢) سورة الإنسان، آية رقم (٨، ٩) .

(٣) سورة الذاريات، آيتا (١٧، ١٨) .

(٤) انظر : تفسير البيضاوى، ج ٢ ص ٤٢٨ .

(٥) سورة الذاريات، آيتا (١٥، ١٦) .

تفسير لإحسانهم الذى استحقوا به دخول الجنة .. فإفشاء السلام من جملة هذه الأعمال الجليلة التى تدخل الجنة .

٤ ـ فوائد إفشاء السلام وثماره :

وإفشاء السلام ونشره بين طبقات المجتمع له فوائد جمة وثمرات يانعة تحيى مـوات القلـوب وتنعش النفوس وتحفز الهمم وتشحذ القوى إلى العمل الصالح، ويكفـى منها أنه طريق الحب المؤدى إلى الجنة كما أشارت إلى ذلك سائر روايات الحديث :

أ ـ رواية الترمذى عن أبى هريرة، حيث يبين لنا رسول الله ﷺ أن طريق دخـول الجنة هو الإيمان، ولا يتحقق الإيمان الكامل إلا بالحب فى الله، ثم يتساءل ﷺ **(ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)** [١] وروى المناوى : **(أفلا انبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال أفشوا السلام بينكم فإنه يزيل الضغائن ويورث التحابب)** [٢] وقد روى البيهقى : **(والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا .. أفشوا السلام بينكم)** [٣]

فالترتيب فى الطريق إلى الجنة على النحو التالى :

إفـشاء الـسلام، وبذله يجلب المحبة وينزع من القلوب الضغائن والأحقاد ويدعم التواد والتراحم، وإذا طهر القلب ونقى من أمراضه، قوى إيمانه وحسنت عقيدته وصلح عمله وعندئذ يدخل الجنة مبتدئاً طريقه إليها بإفشاء السلام .

---

(١) الحديث بتمامه سبق تخريجه .

(٢) رواه المـناوى فى فيض القدير، عبد الرءوف المناوى، ج ٣ ص ٥١٦، ط المكتبة التجارية، القاهرة، طبعة أولى، ١٣٥٦هـ .

(٣) رواه البيهقى فى شعب الإيمان، ج ص ، ط دار الكتب العلمية، بيروت، أولى، ١٤١٠هـ، تحقيق : محمد السعيد بسيونى زغلول .

ب ــ ويذكر العلماء ثمرات مباركة لإفشاء السلام بين أفراد المة، فيقول ابـــن حجر : نقلاً عن النووى : (تسلم على من لقيته ولا تخص بذلك ممن تعرف وفى ذلك إخلاص العمل هل، واستعمال التواضع، وإفشاء السلام الذى هو شعار الأمة) ويضيف ابن حجر : (قلت وفيه من الفوائد أنه لو ترك السلام على من لا يعرف احتمل أن يظهر أنه من معارفه فقد يوقعه فى الاستيحاش منه .. قال : وهذا العمـــوم مخصوص بالمسلم فلا يبتدىء السلام على كافر ولا حجة لمن تمسك به فى السلام على الكافر ..) [1] .

ويـــنقل عـــن ابـــن بطال قوله : (فى مشروعية السلام على غير المعرفة اســـتفتاح للمخاطبة للتأنيس ليكون المؤمنون كلهم أخوة فلا يستوحش أحد من أحد وفى التخصيص ــ أى تخصيص المعرفة بالسلام ــ ما قد يوقع فى الاستيحاش ويشبه صدور المتهاجرين المنهى عنه) [2] وينقل عنب ابن العربى : (قال ابن العربى أن مـــن فـــوائد إفشاء السلام حصول المحبة بين المتسالمين، وكأن ذ لك لما فيه من ائـــتلاف الكلمـــة لـــتعم المصلحة بوقو ع المعاونة على إقامة شعائر الدين وإخزاء الكافـــرين، وهى كلمة إذا سمعت أخلصت القلب الواعى لها عن الغور إلى الإقبال على قائلها) [3] .

قـــال الطـــيبى : (وجعل إفشاء السلام سبباً للمحبة، والمحبة سبباً لكمال الإيمان لأن إفشاء السلام سبب للتحابب والتوادد أو هو سبب الألفة والجمعية بين المـــسلمين المـــسبب لكمـــال الدين وإعلاء كلمة الإسلام، وفى التهاجر والتقاطع التفرقة بين المسلمين وهى سبب لانثلام [4] الدين الوهن فى الإسلام) [5] .

---

(١) فتح البارى، بشرح صحيح البخارى، ابن حجر العسقلانى، ج ٢٣ ص ٢٤ .

(٢) انظر : فتح البارى، ج٢٣ ص ٢١، مرجع سابق .   (٣) ابن حجر، الفتح، ج ٢٣ ص ٢١ .

(٤) ثلـــم الـــشىء أنكسر وانشق، انثلم القوم على فلان أتوا من كل وجه. ويراد به فى العبارة تطرق الضعف والفرقة إلى الدين، وتداعى الأمم على الأمة الإسلامية لضعفها

(٥) انظر : تحفة الأحوذى، المباركفورى، كتاب : الاستئذان، باب : ما جاء فى إفشاء السلام .

ويمكننا إيجاز فوائد إفشاء السلام فى النقاط التالية :

(١) هو أول طريق الجنة بالحب والود، فهو من جملة الأعمال الصالحة .

(٢) جلب المحبة إلى القلوب والتقريب بينها، وذلك بغزالة الضغائن والقضاء على الأحقاد وجذورها من قلب الإنسان .

(٣) إفشاء السلام عموماً،والسلام على غير المعرفة خصوصاً،فيه الإخلاص لله وحده وفيه التواضع وخفض الجناح وعدم رياء الناس بعمله .

(٤) يثمر الأنس بين المسلم (بكسر اللام المشدَّدة) والملقى إليه السلام لإذهابه بالوحشة الناشئة من البعد والصدر .

(٥) بائتلاف الكلمة تتم المصلحة وترقى الأمة بتحقق التعاون على إقامة شعائر الدين وإعلاء رايته .

(٦) إزالة التقاطع والتدابر والتهاجر من قلوب المتسالمين (بكسر الجيم .

وبعد بيان هذه الفوائد بإيجاز هناك نقطتان متعلقتان بهذه الجزئية :

النقطة الأولى : فى حديثى حق الطريق لما ذكر السلام، لم يقل " إفشاء السلام " بل ذكر فى رواية : أبى طلحة " ورد السلام " وفى رواية أبى سعيد الخدرى قال : " كف الأذى ورد السلام " فلم يقل وإلقاء السلام، أو " إفشاء السلام " .

ومعلوم أن الرد على من ألقى السلام يكون بعد إلقائه، ويعلق ابن حجر على هذه المسألة بقوله : تقدم فى الجنائز (ورد السلام) [1] ولا مغايرة فى المعنى لأن ابتداء السلام ورده متلازمان وإفشاء السلام ابتداء يستلزم إفشاءه جواباً " .

فبين الإفشاء والرد تلازم، فالتعبير بالرد فى بعض الروايات فيه إشارة إلى سبب وجوب الرد، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالروايتان اللتان نحن

(١) انظر : ابن حجر فى الفتح، ج ٢٣ ص ٢١ .

بصددهما تبينان لنا ما يجب على من يجلس بالطرقات وأماكن مرور الناس من حقوق، ومنها :

" رد السلام " ومعلوم أن إلقاء لا يجب على القاعد، بل يجب على الماشى، والقليل والصغير كما هو مبين واضح فى روايتى البخارى ومسلم وعند إلقاء السلام يجب الرد على القاعدين .

النقطة الثانية : لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال لما فى ذلك من تقاطع وتدابر وتحاسد، وحلول الضغائن والأحقاد بالقلب، ويقطع كل هذا التباعد والكراهية بدء أحدهما الآخر بالسلام، كما فى رواية مسلم : (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام)[1] وكما فى رواية البخارى : (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا)[2] والأعراض والصد بمعنى إذ أن الصد معناه الإعراض، يقال: صد عنه صداً أو صدوداً أعرض عنه)[3] وأباح الشرع الهجر ثلاثة أيام وبعدها لابد من إنهائه بإلقاء السلام، وكان من الممكن تحريم الهجر نهائياً ولو لساعة واحدة، وذلك حتى تهدأ ثورة الغضب التى جمحت بالقلبين فأشعلت النار والتباعد فيهما، والإمهال إلى ثلاثة أيام لتهدأ القلوب وتسكن النفوس، ويراجع كل واحد من المتهاجرين نفسه فيكون مستعداً لقبول إنهاء النزاع والجنوح إلى التسامح والتصالح ويقبل السلام ويرده، وهذا

---

(١) رواه مسلم، كتاب : البر والصدقة والآداب، باب : تحريم الهجر فوق ثلاثة أيام، ج ٥ ص ٤٢٥، ط الشعب .

(٢) الحديث بكامله رواه البخارى عن أبى أيوب الأنصارى، كتاب : الاستئذان، باب : السلام للمعرفة وغير المعرفة، الفتح، ابن حجر، ج ٢٣ ص ٢٤ .

(٣) انظر : المعجم الوسيط، ج ١ ص ٥٠٩ .

التوجيه وذلك التشريع الحكيم قد راعى الجانب النفسي والوجداني لدى المسلم مما يجعلنا نؤكد ان هذا الحديث وأمثاله من علم نفس السنة، فالسلام قاطع للنزاع منه للخلاف، وينتشر هذا المعنى بالأمر بالسلام على المعرفة وغير المعرفة، ويعلق السندى على ترجمة الباب " باب السلام للمعرفة وغير المعرفة " بقوله : " اللام " — في للمعرفة — بمعنى على أى على من تعرف ومن لا تعرف كما في قوله تعالى : ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [1] أى على الأذقان، ومعنى يخرون للأذقان أى يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله .. وذكر الذقن لأنه أول ما يلقى على الأرض من وجه الساجد) [2] والمراد السلام على المعرفة وعلى غير المعرفة فإفشاء السلام أمر عام لجميع المسلمين مما يشيع الحب والأمان بين طبقات المجتمع .

٥ ـ حكم إلقاء السلام :

دارت أقوال العلماء وآراؤهم حول نقطتين : سنيته أو فرضيته، فهناك من رآه سنة، ومن رآه فرضاً، وفي هذه المسألة ينتقل ابن حجر قول ابن دقيق العيد : استدل بالأمر على إفشاء السلام من قال بوجوب الابتداء بالسلام، وفيه نظر — أى غير مسلم به — إذ لا سبيل إلى القول بأنه فرض عين على التعميم من الجانبين (الذى ألقى السلام، والذى ألقى عليه السلام) — فهو فرض على كل منهما — فيجب على كل واحد أن يسلم على من لقيه، وهذا فيه ما فيه من الحرج والمشقة — إذ أن كل أحد من الفريقين يجب ان يكون ملقياً للسلام راداً عليه في وقت واحد فلا يسمع أيها الآخر — وبالتالي يسقط عموم وجوب السلام على كل مسلم، وإذا سقط هذا العموم، سقط من جانبى الخصوصيين إذ لا قائل يجب على واحد دون الباقين، ولا يجب السلام على واحد دون الباقين، وهذا

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١٠٧) .

(٢) انظر : تفسير البيضاوى، ج ١ ص ٥٨٥ .

البحث ظاهر فى حق من قال : إن ابتداء السلام فرض عين، وأما من قال : فرض كفاية فلا يرد عليه إذا قلنا إن فرض الكفاية ليس واجباً على أحد بعينه ..) [1] .

فابن دقيق، يرى أنه ليس فرض عين بل فرض كفاية واعتمد فى رأيه على مقدمات :

١ ـــ رد على من رأى أن إفشاء السلام ورده فرض عين على كل مسلم

أ ـــ أنه لا مجال ولا سند لمن رأى أنه فرض عين على الفريقين (المسلِّم والمسلَّم عليه) فلو قلنا بأنه فرض عين، وجب على أحد من أفراد الفريقين أن يقوم بعملين فى وقت واحد أن يكون ملقياً السلام وألان ي كون راداً على سلام أخيه من الفريق الآخر، وفى ذلك مشقة وعدم واقعية .

ب ـــ بما أن فى ذلك الأمر مشقة على الفريقين فيجب على أحدهما إلقاء السلام ويسمعه الفريق الثانى ويرد عليه، ومعلوم أنه إذا ألقى السلام على جماعة ورد منهم أحدهم اجزأ عن بقية الجماعة، وإذا كانت جماعة وألقى أحدهم السلام اجزأ فى إلقاء السلام عن الباقى، وبما أن فعل الواحد اجزأ عن الآخرين وأسقط عنهم الإثم، فهذا فرض الكفاية ومفهومه ما إذا فعله البعض سقط الحرج والإثم عن الباقين، وإذا لم يفعله أحد أثموا جميعاً .

فهو غما فرض عين وهذا مردود عليه، وإما فرض كفاية فهذا هو المعتبر شرعاً، ويقول النووى فى الأذكار : (أعلم أن ابتداء السلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية ...) [2] وهذا هو حكم إلقاء السلام بإيجاز دون الدخول فى تفصيلات واستطرادات .

---

(١) انظر : ابن حجر فى الفتح، ج ٢٣ ص ٢٢، مع تصرف كبير فى قول دقيق العيد .

(٢) انظر : الأذكار للنووى، السلوك الاجتماعى، لحسن أيوب، ص ٣٤٣ .

٦ - حكم رد السلام

فى روايــات الحــديث التى بينت حقوق الطريق ذكر رسول الله ﷺ من حقوق الطريق : " رد السلام " كما فى روايتى البخارى ومسلم، ويؤكد المولى جل وعلا نفسه الكريم بقوله : (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) وبينا [illegible]

والآيـــة المفســرة توجب على المسلم رد السلام تبعا لما ألقاه المسلِّم، أو بالزيادة على ما ألقاه، ولا يخفى ما فى ذلك من عظيم الأجر وتقوية الرابطة الإيمانية

ويـــرى العلمـــاء أن رد الـــسلام واجب والكل متفق على ذلك إلا أنهم اختلفوا فى الواجب منه :

أ ـــ فالأكثرون : على أن الواجب هو الرد بالسلام دون الرحمة والبركة، فيكفـــى الراد أن يقول : وعليكم السلام ولو كان المسلِّم قد قال السلام عليكم ورحمة الله، أو زاد عليه " وبركاته " فأقل الواجب هو الرد: " وعليكم السلام " .

ب ـــ وقال البعض : إن الرد يكون بقدر السلام، فيزاد بقدر الزيادة على " السلام عليكم " وذلك لقول الله تعالى : (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فالرد بالمثل واجب والأفضل الرد بالأحسن)[1] .

ج ـــ ويـــرى الـــنووى : (أن ابتداء السلام سنة ورده واجب فإذا كان المســلِّم جماعة فهو سنة كفاية فى حقهم، إذا سلَّم بعضهم حصلت سنة السلام فى حـــق جميعهم، فإذا كان المسلَّم عليه واحدا تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان الـــرد فـــرض كفاية، فإذا رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين، والأفضل أن

---

(١) انظر : السلوك الاجتماعى فى الإسلام، حسن أيوب، ص ٣٤٣، ط دار البحوث العلمية .

يبتدىء الجميع بالسلام وأن يرد الجميع، وينقل عن ابن عبد البر وغيره إجماع المسلمين على أن ابتداء السلام سنة وأن رده فرض)[1].

٧ ـ حكم إلقاء السلام وردُّه على المصلى والداعى والذاكر :

يرى ابن حجر فى الفتح أن : (السلام على المنصت فى الخطبة، وقارىء القرآن والداعى والملبى المستغرق فى التلبية مكروه، والسلام على المصلى جائز وعليه الرد بعد الفراغ من الصلاة ...

ويجوز أن يرد بالإشارة، وبالنسبة لقارىء القرآن فقال الواحدى الأولى ترك السلام عليه، فغن سلم عليه كفاه الرد بالإشارة، وإن رد لفظاً استأنف القراءة وقرأ، ويرى النووى : الظاهر أنه يشرع السلام عليه ويجب عليه الرد، ويستطرد قائلاً : أما من كان مشتغلاً بالدعاء مستغرقاً فيه مستجمع القلب فيحتمل أن يقال هو كالقارىء والأظهر عندى أنه يكره السلام عليه لأنه يشق عليه ويتنكد به أى ـ يتعسر ويجد مشقة ـ وأما الملبى فى الإحرام فيكره السلام عليه لأنه بالرد على من ألقى عليه السلام يقطع التلبية وقطعها مكروه، ويقول ابن حجر : (وما ذكره الشيخ فى حكم القارىء من تعليل من تنكد الداعى وتعسره والمشقة عليه مردود عليه بنظيره فى حكم قارىء القرآن حيث يشرع السلام عليه وهذا ما رآه الشيخ، لأن القارىء قد يستغرق فكره فى تدبر معانى ما يقرؤه، ثم اعتذر عن الشيخ بأن الداعى يكون مهتماً بطلب حاجته فيغلب عليه التوجه طبعاً، والقارىء إنما يطلب منه التوجه شرعاً فالوسواس مسلطة عليه ... ويستطرد : وما ذكره الشيخ فى بطلان الصلاة إذا رد بالخطاب ليس متفقاً عليه .. فعن الشافعى

---

(١)شرح النووى على مسلم .

٦ ـ حكم رد السلام

فى روايــات الحــديث التى بينت حقوق الطريق ذكر رسول الله ﷺ من حقوق الطريق : " رد السلام " كما فى روايتى البخارى ومسلم، ويؤكد المولى جل وعلا نفس الأمر بقوله (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) وبينا

والآيـــة الكريمة توجب على المسلم رد السلام تبعا لما ألقاه المسلِّم، أو بالزيادة على ما ألقاه، ولا يخفى ما فى ذلك من عظيم الأجر وتقوية الرابطة الإيمانية

ويـــرى العلمـــاء أن رد الـــسلام واجب والكل متفق على ذلك إلا أنهم اختلفوا فى الواجب منه :

أ ـــ فالأكثرون : على أن الواجب هو الرد بالسلام دون الرحمة والبركة، فيكفـــى الراد أن يقول : وعليكم السلام ولو كان المسلِّم قد قال السلام عليكم ورحمة الله، أو زاد عليه " وبركاته " فأقل الواجب هو الرد: " وعليكم السلام " .

ب ـــ وقال البعض : إن الرد يكون بقدر السلام، فيزاد بقدر الزيادة على " السلام عليكم " وذلك لقول الله تعالى : (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فالرد بالمثل واجب والأفضل الرد بالأحسن) [1] .

ج ـــ ويـــرى الـــنووى : (أن ابتداء السلام سنة ورده واجب فإذا كان المـــسلِّم جماعة فهو سنة كفاية فى حقهم، إذا سلَّم بعضهم حصلت سنة السلام فى حـــق جميعهم، فإذا كان المسلَّم عليه واحدا تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان الـــرد فـــرض كفاية، فإذا رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين، والأفضل أن

---

(١) انظر : السلوك الاجتماعى فى الإسلام، حسن أيوب، ص ٣٤٣، ط دار البحوث العلمية .

يبتدىء الجميع بالسلام وأن يرد الجميع، وينقل عن ابن عبد البر وغيره إجماع المسلمين على أن ابتداء السلام سنة وأن رده فرض) [1].

٧ - حكم إلقاء السلام وردُّه على المصلى والداعى والذاكر :

يرى ابن حجر فى الفتح أن : (السلام على المنصت فى الخطبة، وقارىء القرآن والداعى والملبى المستغرق فى التلبية مكروه، والسلام على المصلى جائز وعليه الرد بعد الفراغ من الصلاة ...

ويجوز أن يرد بالإشارة، وبالنسبة لقارىء القرآن فقال الواحدى الأولى ترك السلام عليه، فغن سلم عليه كفاه الرد بالإشارة، وإن رد لفظاً استأنف القراءة وقرأ، ويرى النووى : الظاهر أنه يشرع السلام عليه ويجب عليه الرد، ويستطرد قائلاً : أما من كان مشتغلاً بالدعاء مستغرقاً فيه مستجمع القلب فيحتمل أن يقال هو كالقارىء والأظهر عندى أنه يكره السلام عليه لأنه يشق عليه ويتنكد به أى ـ يتعسر ويجد مشقة ـ وأما الملبى فى الإحرام فيكره السلام عليه لأنه بالرد على من ألقى عليه السلام يقطع التلبية وقطعها مكروه، ويقول ابن حجر : (وما ذكره الشيخ فى حكم القارىء من تعليل من تنكد الداعى وتعسره والمشقة عليه مردود عليه بنظيره فى حكم قارىء القرآن حيث يشرع السلام عليه وهذا ما رآه الشيخ، لأن القارىء قد يستغرق فكره فى تدبر معانى ما يقرؤه، ثم اعتذر عن الشيخ بأن الداعى يكون مهتماً بطلب حاجته فيغلب عليه التوجه طبعاً، والقارىء إنما يطلب منه التوجه شرعاً فالوساوس مسلطة عليه ... ويستطرد : وما ذكره الشيخ فى بطلان الصلاة إذا رد بالخطاب ليس متفقاً عليه .. فعن الشافعى

---

(١) شرح النووى على مسلم .



غير مستقر بالنسبة إلى القاعد أو الواقف وإذا أضيفت صورة المستقر إلى الراكب تعددت الصور .

ويضيف ابن حجر إلى الصور التى أشار إليها قائلاً : (وتبقى صورة واحدة : إذا التقى ماران راكبان أو ماشيان، فيرى المازرى أن يبدأ الأدنى منهما بالأعلى فى الدين إجلالاً لفضله، لأن فضيلة الدين مرغب فيها فى الشرع، ولو التقى راكبان ومركوب أحدهما أعلى فى الحسن من مركوب الآخر كالجمل والفرس، فيبدأ راكب الفرس، أو يكتفى بالنظر إلى أعلاهما قدراً فى الدين فيبتدئه بالسلام الذى دونه، ويعقب ابن حجر : (هذا الثانى ـــ أى ابتداء الأعلى قدراً فى الدين بالسلام ممن هو دونه ـــ أظهر كما لا نظر إلى من يكون أعلاهما قدراً من جهة الدنيا إلا أن يكون سلطاناً يخشى منه ..) [1] وأرى أن المعتبر هو القول الثانى أى النظر إلى الأعلى من ناحية الدين لا من ناحية الدنيا، إذ أن مقياس التفاضل عند الله هو التقوى والعمل الصالح ، حيث يقول : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [2] ويروى عن النبى ﷺ أنه قال : (.. رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) أى لما بينه وبين الله من صلة الإيمان والتقوى والعمل الصالح .

ولعلنا نتساءل ما الحكمة فيمن شرع لهم الابتداء بالسلام ؟

وهنا يجيب ابن حجر، وينقل عن ابن بطال عن المهلب قال : (تسليم الصغير لأجل حق الكبير لأنه أثمر بتوقيره والتواضع له، وتسليم القليل لأجل حق الكثير لأن حقهم أعظم، وتسليم المار لشبهه بالداخل على أهل المنزل وتسليم الراكب لئلا يتكبر بركوبه فيرجع إلى التواضع ..

(١) انظر : ابن حجر، فى الفتح، ج ٢٣ ص ١٩ .

(٢) سورة الحجر، من آية (١٣)

ويرى الكرمانى : أنه لو جاء أن الكبير يبدأ الصغير، والكثير يبدأ القليل لكان مناسباً، لأن الغالب أن الصغير يخاف من الكبير، والقليل من الكثير، فإذا بدأ الكبير والكثير أمن منه الصغير والقليل ، لكن لما كان من شأن المسلمين أن يأمن بعضهم بعضا اعتبر جانب التواضع .. ولو كان المشاة كثيراً والقعود قليلاً تعارضا ويكون الحكم حكم اثنين تلاقيا معاً فأيهما بدأ فهو أفضل ..) [(١)] .

وأوافق الكرمانى فيما ذهب إليه من تسليم الكبير على الصغير، ولكن ليس لخوف الصغير من الكبير وإنما تعليماً وتعويداً للصغير على سنة إفشاء السلام لينشأ عليها .. وقد اقتصر النووى على رواية ثابت مولى عبد الرحمن بن زيد عن أبي هريرة : فى تسليم " الراكب على الماشى ، والماشى على القاعد والقليل على الكثير " إحدى روايتى البخارى .. ويقول : (وهذا الذى جاء به الحديث — يعنى رواية ثابت السابقة — وفى كتاب البخارى : والصغير على الكبير كله للاستحباب، فلو عكسوا جاز وكان خلاف الأفضل) [(٢)] أى لو قالوا : الكبير على الصغير كان خلافاً للأولى من جعل الكبير يسلم على الصغير وهذا ما مال إليه الكرمـــانى فى قوله السابق ، ويقول عبد الله علوان فى تربية الأولاد فى الإسلام [(٣)] : (على المربى أن يبدأ الأولاد بالسلام تعليماً منه وتعويداً اقتداء بالمربى الأول ﷺ حيث كان يسلم على الصبيان إذا مر بهم، روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أنه مر على الصبيان فسلم عليهم، وقال : كان النبى ﷺ يفعله ، وفى رواية لمسلم : (أن رسول الله ﷺ مرَّ على على غلمان فسلم عليهم) .

---

(١) انظر : فتح البارى، ابن حجر، ج ٢٣ ص ١٩ .

(٢) شرح النووى على مسلم، ج ٥ ص ٤ .

(٣)تـــربية الأولاد في الإســـلام، عبد الله علوان، ج١ ص ٤٤٢، ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .

وروى الترمذى عن شعبة عن يسار قال : كنت أمشى مع ثابت البنانى فمر على صبيان فسلم عليهم، فقال ثابت : كنت مع أنس فمر على صبيان فسلّم عليهم وقال أنس : (**كنت مع رسول الله ﷺ فمر على صبيان فسلم عليهم**) .

وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح رواه غير واحد عن ثابت وروى من غير وجه عن أنس .

ويذكر الشيخ / حسن أيوب قائلاً : (السنة أن يسلم المسلم البالغ على الصبيان ليعلمهم تحية الإسلام، وليدخل على نفوسهم روح المؤانسة والمودة)[1] وبذكر رواية أنس السابقة .. وذلك يجعلنا نؤكد أن بدء الكبير الصغير بالسلام تعليماً له وتعويداً على هذه السنة المباركة من الأمور الهامة لما للتنشئة الاجتماعية من أثر راسخ فى نفوس النشء إذ أن المرء ابن لبيئته التى نشأ بها وترعرع فيها .

تجنب بدع السلام :

من الأمور الهامة التى ينبغى أن يراعيها المسلم الذى يلقى السلام على أخيه المسلم ، والتى ينبغى أن ينشّأ عليها النشء، البعد عن التحيات المستوردة التى تخالف ما دعانا إليه إسلامنا مثل " صباح الخير " و " مساء الخير " و " نهارك سعيد " و " بنسوار " ومثل ذلك من الألفاظ الواردة .

ومن ذلك : الإشارة بالسلام دون النطق كالإشارة باليد بلا نطق وتجوز الإشارة باليد إذا كان المسلَّم عليه بعيداً عن المسلّم وكان لا يسمع أخاه عن إلقائه السلام ، لأن الإشارة عندئذ تكون دليل السلام، أما إذا كان قريباً فلا تكفى الإشارة لما رواه النسائى عن جابر عن النبى ﷺ : (**لا تسلموا تسليم اليهود فإن تسليمهم بالرءوس والأكف**) وروى الترمذى عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن

---

(١) السلوك الاجتماعى فى الإسلام، حسن أيوب، ص ٣٤٩، ط دار البحوث العلمية، ط ثانية، ١٩٧٩م .

جده أن رسول الله ﷺ قال : **(ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبَّهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف)** .

قال أبو عيسى : هذا حديث إسناده ضعيف، وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة فلم يرفعه، فالتحية الشرعية : " السلام عليكم " أو " السلام عليكم ورحمة الله .. " بلفظ مسموع من المسلِّم عليه، وعليه أن يرد السلام فوراً بمثله أو بأحسن منه .

تعقيب :

بعد هذا العرض للهدى النبوى يتبين لنا بوضوح وجلاء ضرورة إفشاء السلام ونشره بين الأمة، كما اتضح جلياً ما له من ثما يانعة وآثار طيبة على المجتمع المسلم من حيث التقارب النفسى والترابط الاجتماعى، وشيوع الأمن والاستقرار، إذ أن إلقاء السلام يشعر الملقى عليه بالاطمئنان والأمان قبل المسلِّم (بكسر اللام) وهذا مما يميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات التى تنتشر فيها التحيات غير الإسلامية من ألفاظ فرنسية وإنجليزية مستوردة تستعملها مجتمعات تصف نتفسها بأنها طبقات " أرستقراطية " كرمز لثقافتهم الواردة من الغرب ومن خارج التشريع الإسلامى، وهناك تنتشر بدع كثيرة فى السلام منها الإشارة باليد، أو بخلع القبعة بدل النطق بالسلام، وأما الإشارة باليد مع التلفظ بالسلام أن كان المسلَّم عليه بعيداً فلا شىء فى ذلك .

وهذه الأحاديث فيما يتعلق بضرورة إفشاء السلام تضع لنا القواعد الآتية وما ينبغى أن يستفيد به المسلم فى الالتزام بدينه، من ذلك :

١ ـــ أن إفشاء السلام بين المسلمين سنة ورده فرض وكل مسلم عليه الالتزام بالسنة، فعليه أن يبدأ أخاه المسلم بالسلام .

٢ ـ أن رد السلام عند إلقائه والاهتمام بذلك والتزامه من حق الطريق ومن حقوق المسلم على أخيه المسلم، فإذا قصر فى الرد ولم يهتم به كان آثماً

٣ ـ أن إفشاء السلام طريق يسلكه المسلم إلى الجنة إذ أنه من صالح الأعمال التى تهدى صاحبها إلى الجنة، كما أنه طريق يسير إلى الحب والتقارب والتواد والتراحم بين أفراد الأمة .

٤ ـ وجوب تسليم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير، والصغير على الكبير .

٥ـ تقديم الاعتبار فى تربية النشء على آداب الإسلام على كل الاعتبارات الأخرى فيجوز تعليماً وتربية وتعويد أن يلقى الكبير السلام على الصغير ليتعلم ذلك .

مجتمع له سمات خاصة :

إنه المجتمع الإسلامى الذى انفرد بهذه التوجيهات عن سائر المجتمعات المعاصرة التى تحكمها الأهواء والميول الشخصية والمصالح الخاصة دون النظر إلى أية اعتبارات إنسانية فى أى مجال من مجالات الحياة :

١ ـ ارتباط الضوابط الإسلامية الإنسانية اجتماعية واقتصادية وسياسية بالتشريع الإلهى وارتباط الثواب والعقاب بمدى الالتزام بها أو الانفكاك عنها .

٢ـ الحفاظ على الأخلاق والفضائل ذات المصادر الثابتة "والقرآن والسنة" فالفضيلة مقاييسها لا تتغير، والرذيلة أيضاً لا تتغير مقاييسها، فضوابط الحق ثابتة وأشكال الباطل ثابتة ولا تتغير هذه الضوابط فالحق حق والباطل باطل والخطأ خطأ والصواب هو الصواب كل هذا ثابت إلى يوم القيامة، ولا تتغير بتغير الزمان والشعوب كما يدعى أصحاب نظرية " النسبية " فى الأخلاق .

٣ ــ والتشريع الإلهى . فى إطار العلاقات الإنسانية حرم التبرج والزينة لغير الزوج كما حرَّم العرى والتكشف ولعن الكاسيات العاريات، وحرم الخلوة بين الرجل والمرأة، وحرَّم الاختلاط وشيوع المتعة الجنسية.. ولذا فإن المجتمع المسلم مجتمع متميز السمات واضح الشخصية سوى السلوك .. خلافاً للمجتمعات غير الإسلامية الغربية التى اختلط فيها الحابل بالنابل والتبس الحق بالباطل .. وهذا التميز فى المجتمع المسلم بفضل ما أنعم الله به علينا من الدين القيم والتشريع الحكيم ..



ب - علاقته بالبيئة الطبيعية

مدخل للدراسة

معنى البيئة

يطلق لفظ " البيئة " ويراد به المنزل والحال، ويقال : بيئة طبيعية وبيئة اجتماعية وبيئة سياسية.. والباءة المنزل وتبوأ المكان إذا نزل به وأقام به .. [١]

ويقول القرضاوى عن معنى البيئة : (البيئة بعيداً عن التعريفات اللغوية والاصطلاحية هى : المحيط الذى يعيش به الإنسان ويعود إليه إذا سافر أو اغترب بعيداً عنه فهو مرجعه ومثابته شاء أم أبى، وهى تشمل البيئة الحية والجامدة، والبيئة الجامدة تشمل " الطبيعة " التى خلقها الله و " الصناعية " التى صنعها الإنسان، كما تشمل البيئة " الأرضية " والبيئة " الفلكية " أو " السماوية " من الشمس والقمر والنجوم) [٢] .

فمن خلال ما سبق يمكننا القول إن البيئة تعنى كل ما يتعامل الإنسان مما يحيط به من من البيئة الاجتماعية من الجماعات البشرية أفراداً وأسراً ومجتمعات كبيرة، كما تشمل البيئة الطبيعية بعناصرها من مظاهر الزرع والفرس والتشجير، والعمل على تنقية الطريق وتنظيفه من كل ما يؤذى المارة تيسيراً عليهم فى سيرهم بإبعاد الأذى وإماطته، وإذا كان إزالة الأذى من طريق المارة أمراً مستحباً وصدقة يثاب عليها فمن باب أولى عدم وضع الأذى فى الطريق وإحداث العراقيل به إذ أن ذلك مما يأثم به الإنسان وعليه تجنبه ..

وإذا كنا فيما يلى من مباحث سنعرض للحديث عن علاقة الإنسان بالبيئة ونوعاها بيئة اجتماعية تبين علاقة الأفراد ببعضهم، وبيئة طبيعية تبين علاقة

---

(١)المعجم الوسيط، ج ١ ص ٧٥ .

(٢)رعاية البيئة فى شريعة الإسلام، د / يوسف القرضاوى، ط دار الشروق، أولى، ٢٠٠١م .

الإنسان بالطبيعة التى خلقها الله وأبدع فيها من نحو علاقته بتجميل الطبيعة والغرس فيها وعلاقته بالحيوان والطير، فإنه يجب الإشارة إلى أننا بينا علاقة الإنسان بالبيئة البشرية وما يجب أن يكون عليه الأفراد، فبينا علاقة المسلم بأخيه وما يجب عليه تجاهه، والذى ينبغى أن تتميز به شخصية من السلوك العام من التزام عادات الرجال واتباع سلوكهم فى التصرفات العامة والعلاقات الإنسانية كعدم التخنث وسنن الفطرة، والتزام الزى الإسلامى المحتشم،ولذا فإننا سنخصص هذا الفصل الذى نحن بصدده للحديث عن علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية من علاقته بالعناصر الطبيعية المحيطة به من الطرق وضرورة إماطة الأذى من الضر والتشجير والغرس، وطريقة التعامل مع الحيوان والطير وعمارة الكون، كما عرضنا للحديث عن علاقة الإنسان بالآيات الكونية والتفكر فيها واعتبارها طريقاً للإيمان .. وفيما يلى عرض لهذه العناصر البيئية ..

١ ـ إزالة الأذى من الطريق وتجنيب المسلم إياه :

الحديث الثالث عشر

روى مسلم بسنده عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : (**إذا مر أحدكم فى مسجدنا أو فى سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه أنه يصيب أحداً من المسلمين منها بشىء أو قال ليقبض على نصالها**) [١] .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله (**أن رجلاً مر بأسهم فى المسجد قد أبدى نصولها فأمر النبى ﷺ أن يأخذ بنصولها كلا لا يخدش مسلماً**) [٢] .

---

(١)رواه مسلم عن أبى موسى، كتاب : البر والصدقة والآداب، باب : أمر من مر بسلاح فى مسجد أو سوق أن يمسك بنصالها، ج ٥ ص ٤٧٥، مسلم بشرح النووى .

(٢)رواه مسلم عن جابر بن عبد الله، كتاب : البر والصدقة والصلة، باب : أمر من مر بسلاح فى مسجد أو سوق أو غيرها من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها، ج ٥ ص ٤٧٥.

وعن مسلم عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال : (**لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلام فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزغ فى يده فيقع فى حفرة من النار**) [١] .

وروى عن مسلم عن أبي هريرة يقول : (**قال أبو القاسم ﷺ : من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه ولو كان أخاه لأبيه وأمه**) [٢]

٢ - إزالة الأذى عن الطريق :

الحديث الرابع عشر

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (**أن شجرة كانت تؤذى المسلمين فجاء رجل فقطعها فدخل الجنة**) [٣] .

وروى عن مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (**كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس قال : تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**) [٤] .

---

(١)مسلم عن أبي هريرة، كتاب : البر والصدقة، باب : النهى عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ج ٥ ص ٤٧٦ .

(٢)مسلم عن أبي هريرة، كتاب : البر والصدقة، باب : النهى عن الإشارة، ج ٥ ص ٤٧٦ .

(٣)مسلم عن أبي هريرة، كتاب : البر والصدقة، باب : فضل إزالة الأذى عن الطريق، ج ٥ ص ٤٧٧ .

(٤)مسلم عن أبي هريرة ـــ كتاب : الزكاة، باب : اسم الصدقة يقع على كل معروف، ج ٣ ص ٤٦، الشعب .

٢ ـ التشجير والغرس :

الحديث الخامس عشر

روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له بها صدقة) [١] .

وروى عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها) [٢] .

وروى عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل) [٣] .

وروى مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة) [٤] .

---

(١)رواه البخارى عن أنس ﷺ، كتاب : المزارعة، باب : فضل الزرع والغرس وقوله أفرأيتم ما تمـــنون، ج ٢ ص ٨١٧، تحقيق : مصطفى ديب البغا، ط ٣ سنة ١٩٨٧م، دار بن كثير، ودار الـــيمامة، بـــيروت. ورواه مسلم، كتاب : المساقاة، باب : فضل الغرس والزرع، ج٤ ص ٥٩. ورواه الترمذى، كتاب : الأحكام، باب : ما جاء فى فضل الغرس، ج ٣ ص ، ط دار إحياء التراث العربى، مؤسسة قرطبة، مصر .

(٢)رواه الهيثمـــى عـــن أنس، مجمع الزوائد، ج ٤ ص ٦٣، ط دار الريان، القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت .

(٣)رواه الإمام أحمد عن أنس،ج ٣ ص ١٩١،ط مؤسسة قرطبة، مصر، حديث رقم ١٣٠٠٤م .

(٤)رواه مسلم بسنده عن جابر، كتاب : المساقاة، باب : فضل الغرس والزرع، ج ٣ ص ٢١٩٥ ، ط دار إحياء التراث العربي .

٤ ـ عمارة الكون :

الحديث السادس عشر

روى الشيخان قالا : قال رسول الله ﷺ : (من عمرً أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها) [١] .

٥ ـ علاقة الإنسان بالطير والحيوان :

الحديث السابع عشر

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (**مر بفتيان من قريش قد نصبوا طير يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر : من فعل ؟ إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً**) [٢] .

وروى عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذ هى حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض**) [٣] .

٦ ـ الوقاية من الأخطار :

الحديث الثامن عشر

عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : (**لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون**) [٤] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم، واللفظ للبخارى عن عائشة " رضى الله عنها "، كتاب : الوكالة، باب : من أحيا أرضاً مواتاً . البخارى بحاشية السندى، ج ٢ ص ٤٨، ط دار إحياء الكتب العربية .

(٢) رواه مسلم عن ابن عمر، كتاب : البر والصدقة والآداب، باب : ٣٧، ج ٥ .

(٣) رواه مسلم عن عبد الله، كتاب : البر والصدقة والآداب، باب : تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذى لايؤذى، ج ٥ ص ٤٧٨، طبعة الشعب .

(٤) رواه مسلم عن ابن عمر، كتاب : الأشربة، باب : استحباب تخمير الإناء وإيكاء السقاء، ج ٤ ص ٧٠٠، الشعب .

وروى عن جابر بن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : **(غطوا الإناء وأوكئوا السقاء، وأغلقوا الأبواب، وأطفئوا السراج، فغن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح باباً، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرّض على إنائه عوداً ويذكر اسم الله فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم)** [1] .

٧ ـ الحفاظ على مشاعر المسلمين بعدم إيذائهم بالروائح الكريهة :

الحديث التاسع عشر

قال النبي ﷺ : **(أن من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا)** [2] .

وفى رواية لمسلم : **(من أكل ثوماً أو بصلاً فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم)** [3] .

٨ ـ الحفاظ على نظافة البيئة

الحديث العشرون

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **(البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)** [4] .

---

(١)رواه مسلم عن جابر، كتاب : الأشربة، باب : تخمير الإناء وهو تغطيته وإيكاء السقاء، ج ٤ ص ٦٩٦، الشعب .

(٢)رواه نحوه مسلم عن جابر بن عبد الله كتاب : المساجد، باب : نهى من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً عن حضور المساجد، ج ٢ ص ١٩٨ .

(٣)سبق تخريجه .

(٤)رواه مسلم عن أنس بن مالك، كتاب : المساجد، باب : النهى عن البصاق فى المسجد، ج ٢ ص ١٨٨. والبخارى، ج ١ ص ٨٤ .

وروى عن عائشة " رضى الله عنها " أن رسول الله ﷺ **(رأى فى جدار القبلة مخاطاً أو بزاقاً أو نخامة فحكة)** [١] .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدرى أن النبي ﷺ : **(رأى نخامة فى قبلة المسجد فحكها بحصاة ثم نهى أن يبزق الرجل عن يمينه أو أمامه ولكن يبزق عن يساره أو تحت قدمه)** [٢] .

٩ ـ علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية :

نظرة الإنسان إلى مظاهر الكون من حوله تعتمد على الاستفادة منها والانتفاع بها إذ يقول سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [٣] كما أنها طريق للإيمان بالله ﷻ فزخر القرآن الكريم بالآيات الكونية الدالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وإرادته وسائر صفاته العليا لذلك أمر بالنظر والتأمل فى خلق الله تعالى والتفكر فى آلائه ونعمه وأفضاله على عباده، لذلك أ_نا رسول الله ﷺ بذلك فى سنته العطرة وهداياته الراشدة .

الحديث الواحد والعشرون

عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **(تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله تعالى)** [٤] .

وروى عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال :

---

(١)رواه مسلم عن عائشة " رضى الله عنها"، كتاب : المساجد، باب : النهى عن البصاق فى المسجد، ج ٢ ص ١٨٧، ط الشعب .

(٢)رواه مسلم بسنده، عن أبي سعيد الخدرى، كتاب : المساجد، باب : النهى عن البصاق فى المسجد والنهى عن بصاق المصلى بين يديه وعن يمينه، ج ٢ ص ١٨٦، ط الشعب .

(٣)سورة البقرة، الآية (٢٩) .

(٤)رواه الهيثمى، مجمع الزوائد، ج ١ ص ٨١، ط دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي. القاهرة، بيروت، بدون رقم طبع، سنة ١٤٠٧هـ

(تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله) [١] .

وقد ضعف الألبانى رواية . (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا) [٢] .

١ - المباحث اللغوية :

اللفظ	المعنـــــــــــــــــــــــــــــــــــــى
نصالها	النصال أو النصول جمع نصل وهو حديدة السهم .
بكفه أن يصيب	المراد بالكف اليد كراهة أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشىء من الأذى، والمراد بتصيبوا أى حتى لا تصيبوا أحداً .
أبدى	أظهر، يقال أبدى الشىء أو أبدى بالشىء أى أظهره وأوضحه
لا يخدش	الخدش هو الأثر فى الجلد والمراد حتى لا يصيب مسلماً فيخدش جلده بجرح .
ينزع	بالعين المهملة ومعناها يرمى فى يدمر تحقيق ضربته كما روى بالغين المعجمة ويراد به الإغراء ؟
يقع فى حفرة	أى يسقط فى حفرة، ويقال : حفر الشىء إذا جعل فيه حفرة، وهى ما يحفر فى الأرض، والحفرة فى النار هى الدرك الأسفل من النار
تلعنه	تلعنه أى تدعو عليه بالطرد من الرحمة، ولعنه الله أى طرده وأبعده من الخير .
يدعه	أى يتركه أى يترك الإشارة بالحديدة .
سلامى	عظام الأصابع فى اليد والقدم وتسمى القصب والجمع سلاميات وهى عروق ظاهر القدم والكف .

---

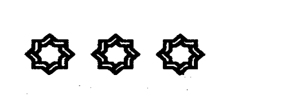
(١) السيوطى عن ابن عباس، تحقيق الألبانى، حديث حسن، انظر حديث : ٢٩٧٦، فى صحيح الجامع

(٢) يقول الألبانى : وضعيف، انظر حديث رقم : ٢٤٧٠ فى ضعيف الجامع .

اللفظ	المعنـــــــــــــــــــــــــــــــــى
كل يوم	كل منصوب على الطرفيةو " يوم " مضاف إليه .
فى دابته	الدابة كل ما يدب على الأرض ويطلق على ما يركب، ومعنى فى : على، والهاء تعود على الرجل .
تميط	تزيل وتبعد، والمراد إزالة الأذى من طريق المسلمين .
الأذى	الأذى هو الضرر والألم، وهو الضرر غير السجيم " لن تضروكم إلا أذى " .
عن الطريق	الطريق ما يطرقه المارة ويسلكونه، وعن بمعنى من .
يغرس	غرس الشجرة غرساً أى ثبتها فى الأرض .
يزرع	زرع الحب أى بذره، وزرع الأرض حرثها وحرثها للزراعة .
بها صدقة	الباب للسببية أى بسببها أو بسبب الأكل منها .
فسيلة	النخلة الصغيرة تقطع من الم أو تقلع من الأرض فتغرس .
ألا يقوم	ألا (أن لا) أن مصدرية ناصبة ولا نافية ــ أى (عدم القيام)
فليفعل	الفاء واقعة فى جواب الشرط، اللام للطلب ويفعل مجزوم فى جواب الشرط إن استطاع .
أكل وسرق	بضم الهمزة وكسر الكاف، وضم السين وكسر الراء مبنيان للمجهول .
منه	الهاء فى (منه) تعود على الموصول (ما) ويراد به المسروق، والمأكول.
له	الهاء فى (له) تعود على المسلم وهى مبنيه على الضم فى محل جر، والمسلم فى قوله : ما من مسلم يغرس ..
و ما أكل	معنى (ما) موصولة أى والذى أكله السبع .

اللفظ	المعنـــى
السبع	كل ماله ناب ويعود على الناس والدواب فيفترسها، وكل ما له مخلف كالطيور الجارحة .
يرزؤه	أى ينقصه ويقال : ترازءوا الموال أى أخذ بعضهم من بعض .
عمرً	يقال عمرً المترل جعله آهلاً، وعمرً الله مترلك والأرض بنى عليها .
نصبوا	أى نصبوا الشيء أقاموه، والمراد نصبوا الطير ليرمون بنبالهم .
خاطئة	التى لا تصيب الهدف والمراد النبل التى لا تصيب الطائر .
من نبالهم	نبل نبلاً صنعها وأحسن إعدادها، والنبل أى السهام جمع النبل نبال .
اتخذ	أى جعل (ومنه جعل الشخص صديقاً له أى اتخذه صديقاً) .
غرضا	الغرض هو ما يصيبه المفْرض من الهدف، والغرض بمعنى الهدف .
أوكئوا	الوكاء شيء يربط فم القربة وأمثالها، فهو الرباط .
السقاء	وعاء من الجلد يكون للماء واللبن وكل ما يجعل فيه ما يسقى من السوائل .
يَعرُض	يَعرُض بفتح الياء وضم الراء ومعناه تمده عليه عرضا أى خلاف الطول .
الفويسقه	الفأرة، أنثى الفأر وهو الجرذان .
تضرم	تحرق أى تلتهم الدور، والمراد : حرقاً سريعاً، ويقال : اضومت النار اشتعلت .
يعتزل	ليتنح : يبعد أى فليتنح عن مساجدنا، ومثلها : فلا يقربن، أى يبعدن .

اللفظ	المعنى
البصاق	بصقا أى لفظ ما فى فمه، الريق إذا لفظ، والأخلاط التى تفرزها مسالك التنفس عند المرض .
دفنها	الدفن بمعنى الإخفاء، والمراد من ارتكب هذه الخطيئة فعليه تكفيرها .
مخاطاً	إفراز مائى لزج تفرزه غدد أو أغشية خاصة كالأغشية التى فى الأنف .
بزاقا	يزق : أى بصق، ويقال : بزق بزقا وبزاقاً بضم الباء الموحدة التحتية .
نخامة	ما يلفظه الإنسان من البلغم .
حكه	حك الشيء على الشيء أو بالشيء، أى أمر جرمه على ج ـه، ويقال تحاكا، أى اتصل جرماهما فحك أحدهما الآخر .
آلاء	أى : نعم جمع نعمة، ومفردها ألى .



٢ - الشرح والبيان :

الإسلام حريص على حياة أبنائه ويحذر من إلحاق الأذى بهم خطأً أو عمداً، لذلك وضع ضوابط وإرشادات هدانا إليها وحث على مراعاتها والالتزام بها رسول الله ﷺ ، ونبين ذلك فى النقاط التالية :

١ - إبعاد الأذى عن المسلم خشية إصابته :

روى مسلم بسنده عن أبي موسى عن النبى ﷺ قال : (**إذا مر أحدكم فى مسجدنا أو فى سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها بكفه أنه يصيب أحداً من المسلمين منها بشىء أو قال ليقبض على نصالها**) .

حيث يأمرنا رسول الله ﷺ بالإمساك بحديدة النبل حيث أنها مدببة يمكن أن تصيب أحد المارة، وذلك الأمر منصب على الإنسان عند مروره بالمسجد أو الطرق لأنهما مكان اجتماع للناس واحتمال الإصابة بسن النبل قائم لوجود الزحام وقيام الجماعات، وفيه تجنيب المسلم كل ما يخاف ضرره .

وتبين لنا رواية مسلم عن جابر بن عبد الله أن سبب الأمر بالأخذ بالنصول (كى لا يخدش مسلما) فالأمر حتى لا يتسبب فى أذى مسلم بخدش جلده .

وفى هذا المجال ايضاً ينهى رسول الله ﷺ عن الإشارة بالسلاح إلى المسلم حتى لا يطول السلاح أو يجره الشيطان إلى تحويل الإشارة إلى إصابة، وما فى ذلك من ترويع وتخويف، وقوله " لا يشير " نهى بلفظ الخبر كقوله الله" لا تضار والدة بولدها " ويؤكد النووى أن هذا أبلغ من لفظ النهى، ومعنى لعل الشيـــطان ينزع (بالعين المهملة) يرمى فى يده ويحقق ضربته ورميته، أما (ينزغ) بالغين المعجمة

فمعناه الإغراء أى يحمله على تحقيق الضرب [1] .. والوقوع فى حفرة من النار مترتب على الأذى الذى ألحقه بأخيه

وفى رواية مسلم عن أبى هريرة بين لنا رسول الله ﷺ أن الملائكة تلعن من يلحق الأذى بأخيه [2] أو يشير إليه بالسلاح للأسباب التى ذكرت فى الرواية السابقة، وفيها دلالة على الإثم والذنب الشديد بدليل لعن الملائكة له إذ أنه الطرد من رحمة الله تعالى .

٢ - إزالة الأذى من الطريق .

روى عن مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : **(كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس قال : تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)** .

ففى هذه الرواية بين لنا رسول الله ﷺ أن كل عظم من عظام اليد والقدم، ويراد بها الشخص أو الإنسان عليه كل يوم تشرق شمسه أن يقوم بعمل خير وإصلاح للمجتمع المسلم والبيئة، وتقديم صدقة، وهى صدقة ندب وترغيب لا إيجاب وإلزام من هذه الصدقات التى يستحب فعلها العدل بين المتخاصمين وإصلاح ذات بينهما لما فى ذلك من إظهار الحق وإعلائه وطرد الخلاف وإقصائه بالانتصار على النفس والشيطان .

ومنها إعانة الشخص فى حاجته فيعطينا رسول الله ﷺ نموذجاً ومثلاً وهو مساعدة صاحب الدابة وإعانته عليها إما بإمساكها له حتى يتمكن منها وإما بحمل

---

(١) انظر : شرح النووى على صحيح مسلم، ج ٦ ص ٤٧٥، ط الشعب .

(٢) الحديث بتمامه سبق تخريجه

متاعه وحاجياته التى يريد تحميلها على الدابة ليرفعها علىٰ ظهر الدابة ويحمل على الدابة كل ما يركب ويحتاج صاحبه إلى معونة أو مساعدة كالسيارة مثلاً إذا تعطلت واحتاجت إلى دفعة لإدراكها، أو شخص مسن طاعن فى السن يحمل حقيبة ثقيلة عليه مثلاً فإذا ما حملتها عنه كانت صدقة وإذا ساعدت فاقد البصر مثلاً بمساعدته فى عبور الطريق كل ذلك صدقة .

والكلمة الطيبة التى تطيب النفس وتهدىء القلب وتشعر باللذة والمتعة [1]

ومن الصدقات المشى إلى الصلاة فكل خطوة يخطوها المسلم إلى المسجد لحضور صلاة الجماعة بالمسجد صدقة وفى هذا إشارة إلى فضل صلاة الجماعة وحضورها بالمسجد .

ومن الصدقات : إماطة الأذى عن الطريق أى إزالته وإبعاده عن طريق المارة التى تؤذيهم وتعوق سيرهم وحركتهم كالحجار أو جذوع الأشجار الجافة أو مخلفات الهدم والبناء، كل هذه الصور للإيذاء فى الطريق يجب إزالتها من الطريق وله بذلك أجر وثواب بما قدم من هذا الخير .

بل ويتأكد الأمر بإبعاد الأذى والإعاقة من الطريق حيث يبين لنا رسول الله ﷺ (أن رجلاً دخل الجنة لأنه قطع شجرة كانت تؤذى المسلمين) [2] بينما أمر ودعا إلى الغـــرس والزرع وحـــث عليه، لأن الضرر يزال أولاً، ولأن التخلية (بمثناة فوقيه وخاء معجمه) مقدمة على التحلية (بتاء وحاء مهملة) وهذا من المعانى الشرعية، حيث إن من أراد التوبة من الذنوب عليه أن يقلع عنها ويتطهر منها ثم يتلبس بالطاعات، إذ لا تجتمع طاعة ومعصية فى قلب واحد فالتواضع والكبر لا يجتمعان والشطر والجحود لا يجتمعان فلابد من إزالة الكبر والجحود ثم

---

(١)انظر جزئية حسن اللقاء فى هذا الكتاب .

(٢)الحديث بتمامه سبق تخريجه .

التحلى بالتواضع والشكر، وهذا مجرد مثال للقياس عليه، فإزالة الأذى مقدم على المنفعة والزينة والتجميل للبيئة .

ويلاحظ فى هذه النماذج أنها تتعامل مع المجتمع بأسلوب راق يسمو بفاعله، فهى منافع يثاب عليها الشخص ويستفيد منها المجتمع وهذا نموذج لحضارة الإسلام وريادته روحياً ومادياً مما يشهد للإسلام بأنه دين ربانى إنسانى .

٣ - التشجير والغرس :

روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له بها صدقة) .

وهذه دعوة إلى الجمال وإراحة البصر وشرح الصدر، وفيها الثمرة والرزق الذى تكفل الله به (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم) حيث يخبرنا رسول الله ﷺ أن من يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيراً وإنسان أو بهيمة كانت له صدقة [١] .

والفرق بين الغرس والزرع أن الغرس يكون بتثبت الشجرة فى الأرض كالنخلة أو القعلة من شجرة كبيرة وذلك يكون بنقل عود صغير لإعادة تثبته بالأرض كالبصل أو الخس وهذا ما يعرف بالذريعة فى أوساط الفلاحين، وزرع الحب بذره، وزرع الأرض حرثها للزراعة وتجهيزها، وقد قال تعالى ممتناً على عباده : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝ ﴾ [٢]
وفى الحديث بيان جلى لفضل الزرع والغرس، ولم لا ؟ وهما سبب حياة الإنسان ورزقه، فكل ما يعيش عليه الإنسان من كل أنواع الأطعمة، والحيوانات كله من

---

(١)الحديث سبق تخريجه .

(٢)سورة الواقعة، الآيتان (٦٣، ٦٤) .

الغرس والزرع، كله من الأرض : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1] .

يقول النووى : فى هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع وإن أر فاعل ذلك مستمر مادام الغراس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة .. وبين خلاف العلماء فى أطيب المكاسب وأفضلها فقيل : التجارة، وقيل : الصنعة باليد، وقيل : الزراعة وهو الصحيح [2] فيختار الزراعة ويعقب على الرأى بقوله : وهو الصحيح .

وفى رواية مسلم عن جابر (أن ما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع فهو له صدقة) [3] والمسروق يعتبر صدقة لصاحب الغرس، وكذلك ما يأكل السبع أو البهيمة .

ويؤكد النبى ﷺ أمره بالغرس حتى أضيق الأوقات وأحرجها عندما يأمرنا بغرس الفسيلة وهى النخلة الصغيرة التى تقطع من الأم أو تقلع من الأرض حتى وإن قامت القيامة [4] ، وفى رواية عن أنس بن مالك ﷺ (.. فإن استطاع إلا يقوم حتى يغرسها فليفعل) [5] وهذا يؤكد فضيلة الغرس ومدى الثواب عليهما ورضا الله عن فاعلهما .

---

(١)سورة عبس، الآيات من (٢٤ إلى ٣٢) .

(٢)انظر : شرح النووى على سملم، ج ٤ ص ٥٩، ط الشعب .

(٣)الرواية بأكملها سبق تخريجها .

(٤)سبق تخريجه .

(٥)سبق تخريجه .

٤ ـ إعمار الأرض وإحيائها :

روى الشيخان قالا : قال رسول الله ﷺ : (**من عمرَّ أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها**) .

فى هذا الهدى النبوى يرشدنا رسول الله ﷺ إلى إحياء الأرض وإعمارها لأن الإسلام لا يحب أن تكون بالبيئة خرابات أو أماكن تحوى القاذورات وتجلب الأمراض لأنه أماكن خربة، فجعل عمارها بالإقامة فيها والبناء عليها إذا لم تكن مملوكة لأحد جعلها حقاً له، وإذا أحياها بالزراعة فيها والإنتاج منها كانت حقاً له كذلك .. ورأى الإمام علىٌ ذلك فى أرض الخراب بالكوفة موات، وقال عمر من أحيا أرضاً مواتاً فهى له [1] ويشترط الشافعية أن تكون الأرض التى يراد ملكها بالإحياء حرة وهى التى لم يجر عليها ملك لمسلم ولا لغيره، فغن جرى عليها ملك وإن كان للآن خراباً فهو لمالكه، ومن أحيا مواتاً فظهر فيه معدن ظاهر كالنفط أو معدن باطن كالذهب، والأول ظاهر لأنه يخرج بلا معالجة، أما الباطن فيخرج بمعالجة .. فإنه يملك كل هذا لأنه من أجزاء الأرض التى ملكها بالإحياء [2] .

فهذا تشجيع على الإعمار والإحياء وهذا من زينة الأرض وزخارفها، فهو تجميل للبيئة وتحسينها .

٥ ـ علاقة الإنسان بالطير والحيوان :

روى عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذ هى حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض**) .

---

(١)البخارى بحاشية السندى، ج ٢ ص ٤٨ .

(٢)انظر : الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع، شمس الدين الشربينى، ج ٢ ص ١٥٩، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ (**مر بفتيان من قريش قد نصبوا طير يـــرمونه وقـــد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفـــرقوا فقـــال ابن عمر : من فعل ؟ إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً**) .

في هذا الهدى النبوى الشريف يبين رسول الله ﷺ ما يجب أن تكون عليه علاقة الإنسان بالطير والحيوان إذ أن هذه الكائنات الحية من عناصر البيئة فنهى عن تعذيبها أو تصبيرها لأن هذا من الرحمة التى يجب ان يتحلى بها المسلم فيخبرنا رسولنا الكريم عن امرأة دخلت النار وعذبت بسبب ذنب ارتكبته وهو حبس قطة حتى ماتت جوعاً وعطشاً إذ أنها لم تطعمها ولم تسقها ولا هى تركتها تسير باحثة عن زقها فتأكل من خشاش [1] الأرض وهذا مناف للرحمة التى حثنا عليها رسول الله ﷺ بقوله : ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء، ويحدثنا سملم عن الشباب الذين وضعوا طيراً يرمونه بالنبل فنهاهم عن ذلك مبيناً ان رسول الله ﷺ من اتخذ ما فيه روح غرضاً أى هدفاً يتم عليه الرمى، ويذكر النووى أن المشهور فى اللغة (طير) وجمع ويقال فى الواحد (طائر) ويجمع على (طير) ويقول سبحانه : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [2] وفى لغة قليلة إطلاق الطير على الواحد وهذا الحديث جار على هذه اللغة .. ولفظ (خاطئة) لغة الأفصح فيها مخطئة، ويقال لمن قصد شيئاً فأصاب غيره غلطاً : أخطأ فهو مخطىء وفى لغة قليلة خطأ فهو خاطىء والحديث جاء على اللغة الثانية .

وهذا الحديثان نموذج لعلاقة الإنسان بالعجمادات من طير وحيوان بكل أصنافهما ومدى حرمة تصبيرها، ويقول العلماء : صبر البهائم أن تحبس وهى حية

---

(١)خشاش الأرض : أى حشرات الأرض .

(٢)سورة الواقعة، الآية (٢١) .

قال القاضى : ويلحق به من أكل فجلاً وكان يتجش، قال ابن المرابط : ويلحق به من به بخر (نتن الفم) فى فيه، أو به جرح له رائحة .

قال القاضى : قاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد كصلاة العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات .. ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها [١] ومن مجمل هذا يمكننا القول : إن الإسلام يدعو إلى الحفاظ على مشاعر المسلمين بالنهى الشديد لآكلى الثوم والبصل وأى تلوث فى الجو يلحق بهذا فلا يجوز تلويثه بالدخان، والقاذورات والأطعمة الفاسدة التى تسبب سلسلة من الأمراض الصدرية والباطنية التى تمكن الوقاية من الإصابة بها إذا حافظنا على البيئة وقضينا على أسباب التلوث وإبعادها عن المجتمع، وقد ترجم ابن حجر فى فتح البارى للباب بقوله (باب ما يكره من القوم والبقول) أى التى لها رائحة كريهة، ويتساءل : هل النهى عن دخول المسجد لأكلها على التعميم أو على من كل منها دون المطبوخ ؟ — ولعل النهى من اجل انبعاث الرائحة الخبيثة التى تبعث من النيىء دون المطبوخ — ويكمل قائلاً : (وفى هذه الأحاديث جواز أكل الثوم والبصل والكرات إلا أن من أكلها يكره له حضور المسجد، وقد ألحق بها الفقهاء ما فى معناها من البقول الكريهة الرائحة كالفجل، واختلف العلماء فى الكراهية فالجمهور على أنها للتتريه، وذهب الظاهرية إلى التحريم ونقل عنهم عياض تحريم هذه الأشياء مطلقاً لأنها تمنع حضور الجماعة، والجماعة فرض عين .. وقد استغرب ابن حجر ذلك من القاضى عياض) [٢] .

والصواب ما ذهب إليه الجمهور من القول بأن الكراهة للتتريه وليست للتحريم .

---

(١)انظر : النووى، ج ٢ ص ١٩٧، ط الشعب، صحيح مسلم .

(٢)انظر : فتح البارى، لابن حجر، كتاب : الأطعمة، مكتبة الكليات الأزهرية .

٨ ـ الحفاظ على نظافة البيئة .

روى مسلم عن أبي سعيد الخدرى أن النبى ﷺ : **(رأى نخامة فى قبلة المسجد فحكها بحصاة ثم نهى أن يبزق الرجل عن يمينه أو أمامه ولكن يبزق** [illegible] أو [illegible] **)**

[illegible]

[illegible] مع البلغم فى قبلة المسجد فحكها أى أزالها ونظف مكانها ثم نهى عن البزاق أو البصاق وبالتالى التنخم عن اليمين أو الأمام ولكن عليه بجهة اليسار أو تحت قدمه، وفى روايته عن أنس ﷺ بين أن ذلك [illegible] وليس له كفارة إلا دفن البصاق أو البزاق أو النخامة .

وفى رواية عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ أن النبى ﷺ لما رأى ذلك فى جدار القبلة [illegible] فحكها أزالها وطهر منها الموضع، والثانية : دفنها أى أخفى معالمها [illegible] ما فى ذلك من مراعاة مشاعر الناس الذين يتقززون من تلك المناظر المؤذية والمثيرة للقيء والترجيع، فإن غيرها يقاس عليها من الجيف والروث والبول والبراز والمسجد بما له من قدسية وما فيه من نظافة نموذج للبيئة النظيفة المثالية التى يجب أن تكون فى ثمل نظافة المسجد وطهارته، مع كل هذا، هناك روايات الحديث التى توضح علة النهى عن البصاق والتنخم فى المسجد مثل : رواية انس : **(إذا كان أحدكم فى الصلاة فإنه يناجى ربه فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن شماله تحت قدمه)** [١] .

---

(١)رواه مسلم بسنده عن أنس ، كتاب : الصلاة، باب : النهى عن البصاق فى المسجد، ج ٢ ص ١٨٩، ط الشعب .

قال القاضى : ويلحق به من أكل فجلاً وكان يتجش، قال ابن المرابط : ويلحق به من به بخر (نتن الفم) فى فيه، أو به جرح له رائحة .

قال القاضى : قاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد كصلاة العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات .. ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها [١] ومن مجمل هذا يمكننا القول : إن الإسلام يدعو إلى الحفاظ على مشاعر المسلمين بالنهى الشديد لآكلى الثوم والبصل وأى تلوث فى الجو يلحق بهذا فلا يجوز تلويثه بالدخان، والقاذورات والأطعمة الفاسدة التى تسبب سلسلة من الأمراض الصدرية والباطنية التى تمكن الوقاية من الإصابة بها إذا حافظنا على البيئة وقضينا على أسباب التلوث وإبعادها عن المجتمع، وقد ترجم ابن حجر فى فتح البارى للباب بقوله (باب ما يكره من القوم والبقول) أى التى لها رائحة كريهة، ويتساءل : هل النهى عن دخول المسجد لأكلها على التعميم أو على من كل منها دون المطبوخ ؟ — ولعل النهى من اجل انبعاث الرائحة الخبيثة التى بعث من النيىء دون المطبوخ — ويكمل قائلاً : (وفى هذه الأحاديث جواز أكل الثوم والبصل والكرات إلا أن من أكلها يكره له حضور المسجد، وقد ألحق بها الفقهاء ما فى معناها من البقول الكريهة الرائحة كالفجل، واختلف العلماء فى الكراهية فالجمهور على أنها للتنزيه، وذهب الظاهرية إلى التحريم ونقل عنهم عياض تحريم هذه الأشياء مطلقاً لأنها تمنع حضور الجماعة، والجماعة فرض عين .. وقد استغرب ابن حجر ذلك من القاضى عياض) [٢] .

والصواب ما ذهب إليه الجمهور من القول بأن الكراهة للتنزيه وليست للتحريم .

---

(١)انظر : النووى، ج ٢ ص ١٩٧، ط الشعب، صحيح مسلم .

(٢)انظر : فتح البارى، لابن حجر، كتاب : الأطعمة، مكتبة الكليات الأزهرية .

٨ ـ الحفاظ على نظافة البيئة .

روى مسلم عن أبي سعيد الخدرى أن النبى ﷺ : (رأى نخامة فى قبلة المسجد فحكها بحصاة ثم نهى أن يبزق الرجل عن يمينه أو أمامه ولكن يبزق [illegible] أو [illegible])

[illegible]

[illegible] لفظها [illegible] أى [illegible] مع البلغم فى قبلة المسجد فحكها أى أزالها ونظف مكانها ثم نهى عن البزاق أو البصاق وبالتالى التنخم عن اليمين أو الأمام ولكن عليه بجهة اليسار أو تحت قدمه، وفى روايته عن أنس ﷺ بين أن ذلك خ[illegible]ئة وليس له كفارة إلا دفن البصاق أو البزاق أو النخامة .

وفى رواية عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن النبى ﷺ لما رأى ذلك فى جدار القبلة [illegible] فحكها أزالها وطهر منها الموضع، والثانية : دفنها أى أخفى معا[illegible] [illegible] ما فى ذلك من مراعاة مشاعر الناس الذين يتقززون من تلك المناظر المؤذية والمثيرة للقىء والترجيع، فإن غيرها يقاس عليها من الجيف والروث والبول والبراز والمسجد بما له من قدسية وما فيه من نظافة نموذج للبيئة النظيفة المثالية التى يجب أن تكون فى تمل نظافة المسجد وطهارته، مع كل هذا، هناك روايات الحديث التى توضح علة النهى عن البصاق والتنخم فى المسجد مثل : رواية انس : (إذا كان أحدكم فى الصلاة فإنه يناجى ربه فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن شماله تحت قدمه) [1] .

---

(١)رواه مسلم بسنده عن أنس ، كتاب : الصلاة، باب : النهى عن البصاق فى المسجد، ج ٢ ص ١٨٩، ط الشعب .

ويتساءل النووى: إذا كان البزاق فى المسجد خطيئة فكيف يأذن فيه ﷺ ؟ وإنما نهى عن البصاق عن اليمين تشريفاً لها، وفى رواية البخارى : (فلا يبصق أمامه ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً، قال القاضى : والنهى عن البزاق عن يمينه هو مع إمكان غيره فإن تعذر غير اليمين بأن يكون عن يساره مصلٍ فله البصاق عن يمينه لكن الأولى تنزيه اليمين عن ذلك ما أمكن) [1] .

وعندئذ يمكننا القول إن الإسلام حريص على نظافة البيئة وإزالة مصادر القاذورات وإقصائها عن مواطن العمران رعاية لمشاعر المجتمع وحفظاً للصحة العامة، والقضاء على كل أسباب التلوث السمعى والبصرى والغذائية ما أمكن إلى ذلك سبيلاً .

٩ - علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية :

عـــن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله تعالى) .

نظرة الإنسان إلى الكون ومظاهره من حوله تعتمد على الاستفادة مما حباه الله به من النعم والآلاء والانتفاع بها حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [2] وقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [3] كما أنها طريق الإيمان بالله ﷻ، فزخر القرآن الكريم بالآيات الكونية الدالة على وجود الله ﷻ وسائر صفاته كالإرادة والعلم والقدرة، لذلك أمر الله بالتفكر والنظر فى نعمه وأفضاله على عباده، وقد أمرنا بذلك فى سنته الشريفة وهدايته الرشيدة، وهذا

---

(١) انظر : النووى على مسلم، ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٩) .

(٣) سورة الملك، الآية (١٥) .

رسول الله ﷺ يوضح لنا حدود التفكر والقدرات العقلية المتاحة لذلك، فيبين لنا ان مجال الفكر والتأمل يكون فى خلق الله تعالى ونعمه وما منّ الله به على عباده فيقول : (تفكروا فى آلاء الله) أى فيما خلق الله لكم من النعم والآلاء، فالمتأمل فى خلق السموات التى رفعت بغير عمد نراها، والأرض التى جعلها الله فراشا بعد أن دحاها واخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال التى جعلها الله راسيات لترسى الأرض من الانهيار، ونعمة الرزق للإنسان والحيوان والطير، ودقة الزمن فى تعاقب الليل الذى جعله سكناً وراحة، والنهار الذى جعله الله ضياء ونوراً ووقتاً للسعى والنشاط وانتظام ظهور الأهله وذهابها وتعاقب الشهور والسنين﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ (١) ولا ينتظم حساب الزمن إلا بانتظام الظاهر المترتب عليها .

وعلى المستوى الشخصى بجانب تأمل ما فى الأرض من آيات وبراهين على القدرة الإلهية، ينبهنا إلى تأمل أنفسنا وذواتنا فيقول سبحانه : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢) .فيما زوّد الله به الإنسان من العقل والتمييز، والقدرة على السعى والحركة، فسواه الله تعالى خلقاً كريماً لا يهان فجعله منتصب القامة لا يحنيها أبداً حتى عند الطعام كسائر الحيوانات والطيور (فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك) يقول البيضاوى : (والتسوية جعل الأعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معدلة متناسبة الأعضاء أو معدلة بما تسعدها من القوى) (٣) .

---

(١)سورة الإسراء، الآية (١٢) . (٢)سورة الذاريات ، آيتا (٢٠، ٢١) .

(٣)انظر : تفسير البيضاوى، ج ٢ ص ٥٧٥ .

فهذه الأمور كلها من النعم والآلاء هي مجال النظر والتفكر لأن العقل لا يصل لأبعد من ذلك ولذلك نهى عن التفكر في ذات الله لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فلا يمكن أن يتماثل من قريب أو بعيد مع أحد من خلقهن لن العقل يعجز ويضل ضلالاً بعيداً فيدخل النار بضلاله، فيورد نفسه موارد الهلاك، وفي رواية السيوطي : (.. ولا تفكروا في الله فتهلكوا) وقد ضعفها الألباني .. واتفقت جميع الروايات على : تفكروا في الله، أو في آلاء الله .

ونخلص إلى أن المسلم لا يقف جامداً أمام الآيات الكونية الدالة على وجوب الإيمان بالله تعالى، بل ويتفاعل فكرياً معها محاولاً الاستفادة منها عقدياً وعملياً في واقع الحياة العامة .

فالمسلم الأصيل في تكوينه يتفاعل مع البيئة الطبيعية ويستفيد منها .

كما أن عليه أن يحافظ عليها ويتجنب في سلوكه إتلافها أو ينشر القاذورات التي تعيش فيها وتترعرع سائر البلايا والأوبئة، ومظهر ذلك هو التخلف بكل أنواعه فتكون الأمة عليلة هزيلة مريضة يطمع فيها أعداؤها الذين يسيل لعابهم إلى نهب ثروات المسلمين والبحث عنها والتنقيب عليها بغية الوصول إليها وهذا بلغة الموضوع الذي نحن بصدده " الاستفادة من البيئة " التي لم يحاول أصحابها الاستفادة منها .

فالمطلوب من المسلم أمراه، الأول : حسن الإيمان بالله وسلامة العقيدة والقيام بصالح العمال، والثاني: التفاعل مع نعم الله وآياته الكونية الداعية إلى الإيمان بالله تعالى وتقرير صفاته .. عندئذ يمكننا القول بأن المسلم شخص إيجابي لا سلبي لا يعرف التواكل ولا التكاسل حيث إن دينه يدعوه إلى السعي والعمل والنظر والفكر ..



الخاتمـــــة

وبعد هذا العرض لما يجب أن يراعيه المسلم فى علاقاته الإنسانية والاجتماعية من أمور هامة تميزه عن غيره من سائر المجتمعات البشرية نختم بحديث القرآن عن النبى ﷺ :

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [1] .



(١)سورة النجم، آيات من (١ ـــ ٤) .

الفهـــرس



رقم الإيداع
١٦٨١٥ / ٢٠٠٦